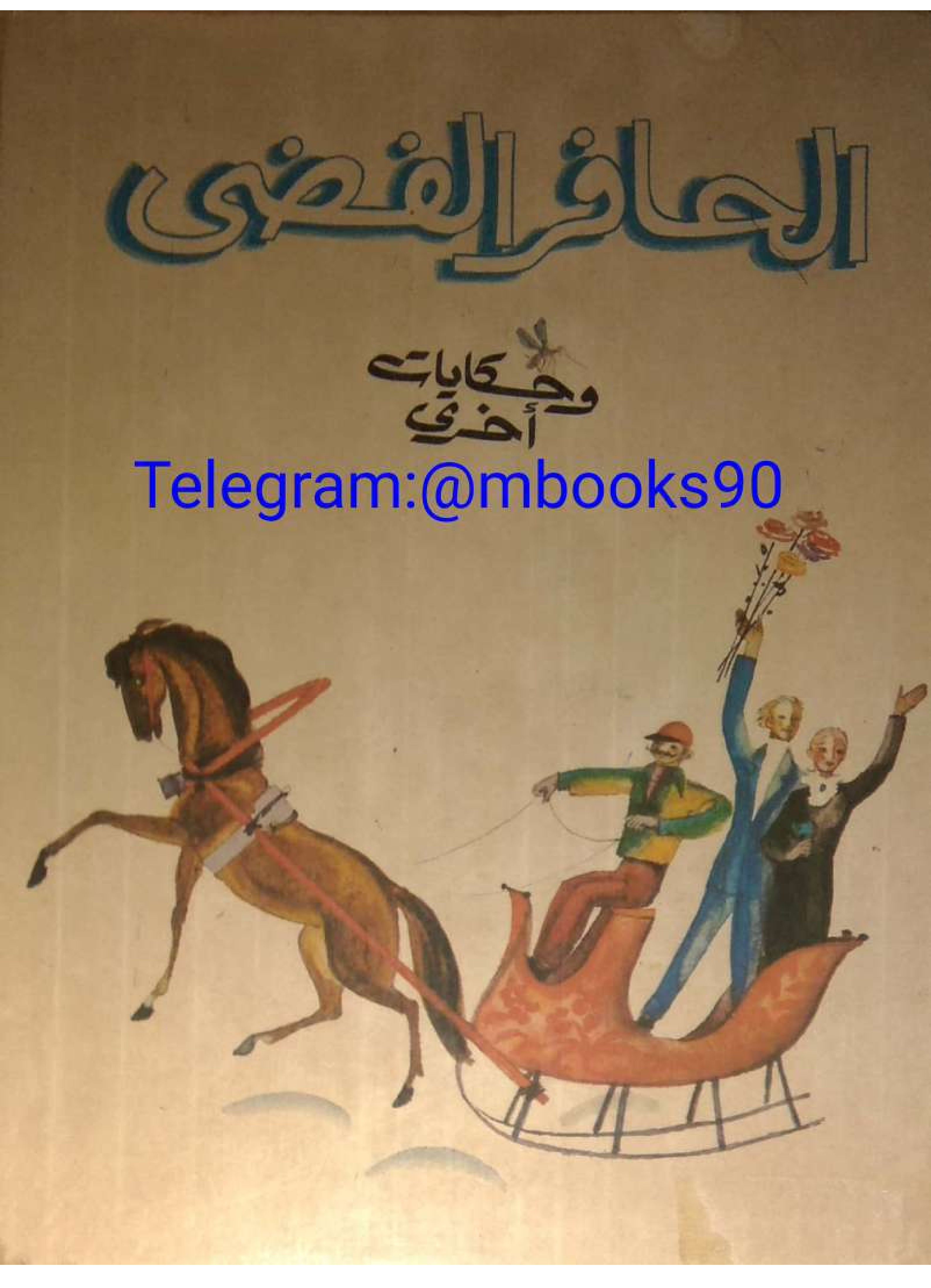

الحافر الفضي
وحكايات أخرى

ترجمة غائب طعمة فرمان



C $\frac{4803010102-683}{031(01)-84}$ 267-84



مرحباً ، ايتها الحكاية !

«في قديم الزمان عاش سلطان ، له من الابناء ثلاثة . . .» .

وتبدأ الحكاية ، ومنذ الكلمات الاولى تحبس انفاسك في توقع العجائب والغرائب ، وتنتظر ماذا سيحصل بعد ؟

كانت الحكاية موضع حب دائماً وابداً . احبها الصغار والكبار ، فهي تلائم كل عمر ، وكل عقل ، ولهذا قال الكسندر بوشكين في شعره :

الحكاية كذب ولكن فيها تلميح !
درس للشبان الأخيار

وقد انقضت سنوات كثيرة ، وتغير الكثير في الحياة ، ولكن الحكاية بقيت .

في العالم حكايات كثيرة ، ومع ذلك فهي قليلة ، لأن الاولاد يريدون دائماً حكاية جديدة ، ليس فقط عن ابطال الحكايات القديمة ، بل عن الاطفال المعاصرين .

ويضم هذا الكتاب حكايات كتبها كُتاب روس سوفييتيون تُقرأ كتبهم في جميع العالم وتحظى بالحب .

وهنا ايضاً ، كما في القديم :

الحكاية كذب ولكن فيها تلميح !
درس للشبان الأخيار

وقد يتذكر أحد ، بعد ان يقرأ حكاية قسطنطين باوستوفسكي «العصفور المنفوش» كيف ان العصفور باشكا عارك بشجاعة ، واستطاع ان ينتزع البروش من الغراب . وقد يقرأ شخص آخر هذه الحكاية ، ويفكر مع نفسه : «جميل ان يكون ثمة اصدقاء مخلصون» .

أو هاكم حكاية «الوحوش الماكرة» لاولغا غورش وهي تحكي في فرح كيف خدع الثعلب والغُرير والدب الخادمة العجوز لوكريوشكا ، بعد ان تزينت — هذه الوحوش — بلباس اهل البيت ، وجعلتها تصدق بأنها اهل البيت انفسهم .

هناك مَنْ يقرأ ويضحك فقط .

وهناك من يلفت انتباهَه الدبُّ الابله قليلاً ، الذي لبس سترة الجنرال ، وتصوَّر نفسه جنرالاً ، واعتبر أن مهمة الجنرال بالذات هي تدوير طاحونة القهوة . او تلفت انتباهه زوجة الجنرال الحقيقية التي كانت اكثر ما تخشاه أن يعرف الناس أن الوحوش كانوا في البيت بدلاً منهم فيضحكون عليهم . . .

والحكايات عادة تُسمع وتُقرأ مرات عديدة ، ولا يسأم الناس من سماعها وقراءتها . تقرأها مرة فيعلق في ذاكرتك شيء ، وتقرأها ثانية فتفكر في شيء آخر .

والحكاية الجيدة اعجوبة بحد ذاتها ، وهي تنمو مع نموك . فهي ، كصديق طفولتك ، تسير الى جانبك سنين طويلة .

وحين تفتح كتاب الحكايات تقول : «مرحباً ، ايتها الحكاية !»

وحين يقع في يديك هذا الكتاب بعد سنة او سنتين او ثلاث ، تعود فتقول : «مرحباً ، ايها الصديق العزيز !»

فارجو ان تقرأ حكايات اكثر ، وأن تعيد قراءتها اكثر . وحين تغلق الكتاب ، لا تنس كم العالم رائع اذا تربع على عرشه السلطان الخير والسلطانة العدالة .

فلاديمير مورافيف







مكسيم غوركي

العصفور الصغير

عالم العصافير مثل عالم البشر تماماً . . . العصافير والعصفورات الكبار طيور مملة ، تتحدث عن كل شيء مرددة ما جاء في الكتب ، اما الشباب فيحيا مستهدياً بعقله .

كان يا ما كان عصفور صغير أصفر الفم يدعى بوديك ، ويعيش فوق نافذة الحمام وراء بروازها الخارجي ، في عش دافئ من القش والزغب وغيرها من الاشياء الناعمة . ولم يكن قد جرب أن يطير بعد ، ولكنه كان يخفق بجناحيه ويطل برأسه من العش كثيراً . . . كان يشتاق الى معرفة دنيا الله هل تصلح له .

قالت العصفورة الأم متسائلة :

— ماذا ، ماذا ؟

فنفض جناحيه وغرد ناظراً الى الأرض :

— سو — سوداء . . . سوداء !

وجاء الأب حاملاً لبوديك بعض الحشرات وقال مفاخراً :

ــ ألست شاطراً ؟

طمأنته العصفورة الأم :

ــ شاطر . . . شاطر . . .

أما بوديك فأخذ يبتلع الحشرات قائلاً لنفسه :

«بم يتفاخرون . . . ألأنهم اعطوني دودة بأرجل . . . يا للعجب !»

وظل يطل برأسه من العش ويجيل النظر .

فقالت أمه بقلق :

ــ يا صغيري ، يا صغيري . . . احذر وإلا وقعت .

فسألها بوديك :

ــ بم ، بم ؟

فقال الأب موضحا :

ــ تقع على الأرض فتأتي القطة وتلتهمك . . . هَمْ !

وطار الأب ليصطاد .

وهكذا سارت الحياة ، بينما لم يعجل جناحاه بالنمو .

وذات مرة هبت الريح ، فسأل بوديك :

ــ ماذا ، ماذا ؟

فقالت الأم موضحة :

ــ ستهب عليك الريح . . . صو-صو . . . وتلقيك على الارض . . . لتأكلك القطة !

ولم يرق هذا لبوديك فقال :

ــ ولماذا تهتز الأشجار ؟ لتتوقف ، وعندئذ لن تهب الريح . . .

وحاولت الأم أن توضح له أن ألامر ليس هكذا ، ولكنه لم يصدق . . . كان يحب ان يفسر كل شيء كما يحب .

ومر فلاح بجوار الحمام وهو يطوح ذراعيه .

فقال بوديك :

ــ قصَّت له القطة جناحيه تماماً . . . ولم يبق الا العظم !

فقالت العصفورة الأم :

ــ هذا انسان ، وكل الناس بلا اجنحة !


MOHAMED KHATAB

ــ لماذا ؟
ــ من عاداتهم ان يعيشوا بلا اجنحة ، انهم يقفزون دائماً على ارجلهم ، فاهم؟
ــ لماذا ؟
ــ لو كان لديهم اجنحة لاصطادونا كما نصطاد انا وأبوك الحشرات . . .
فقال بوديك :
ــ هراء ! كلام فارغ ! لا بد ان يكون للجميع اجنحة . ربما الحياة على الأرض أسوأ منها في الجو ! . . عندما أصبح كبيراً سأجعل الجميع يطيرون .
لم يصدق بوديك أمه . ولم يكن يعرف بعد انك اذا لم تصدق ماما فستكون العاقبة سيئة .
جلس على حافة العش تماماً وأخذ يغني بأعلى صوته اشعاراً من تأليفه :

مسكين هذا الانسان
يمشي . . . من غير جناحين
ويتيه بجسم عملاق
لكن تأكله الديدان
وأنا الفرخ ، صغير الشأن
املأ بطني بالديدان

غنى وغنى حتى سقط من العش ، ولحقت به أمه العصفورة . . . ولكن القطة الحمراء ، ذات العينين الخضراوين ، كانت له بالمرصاد .
وخاف بوديك ، ونشر جناحيه ، ووقف يرتعد على ساقيه الرماديتين ويقول للقطة :
ــ تشرفت بمعرفتك . . . لي الشرف . . .
وأخذت امه العصفورة تدفعه جانباً وقد انتفش ريشها . . . كانت تبدو مخيفة ، شجاعة . . . وفتحت منقارها مصوبة اياه الى عيني القطة وهي تصيح :
ــ ابتعد ، ابتعد ! يا بوديك . . . طر . . . طر الى الشباك . . .
ارتفع العصفور الصغير عن الارض ذعراً وقفز ، وخفق بجناحيه . . . هوب . . . هوب . . . وحط على النافذة !
وأقبلت أمه عليه في منتهى السعادة وان كانت قد فقدت ذيلها ، وجلست بجواره ، ونقرته في قفاه قائلة :

— ماذا ، ماذا ؟

فقال بوديك :

— لا بأس ! لا يمكن ان تتعلم كل شيء دفعة واحدة !

بينما جلست القطة على الارض ، وهي تنظف مخالبها من ريش العصفورة ، وأخذت — الحمراء — تتطلع إليهما بعينيها الخضراوين وتموء بأسف :

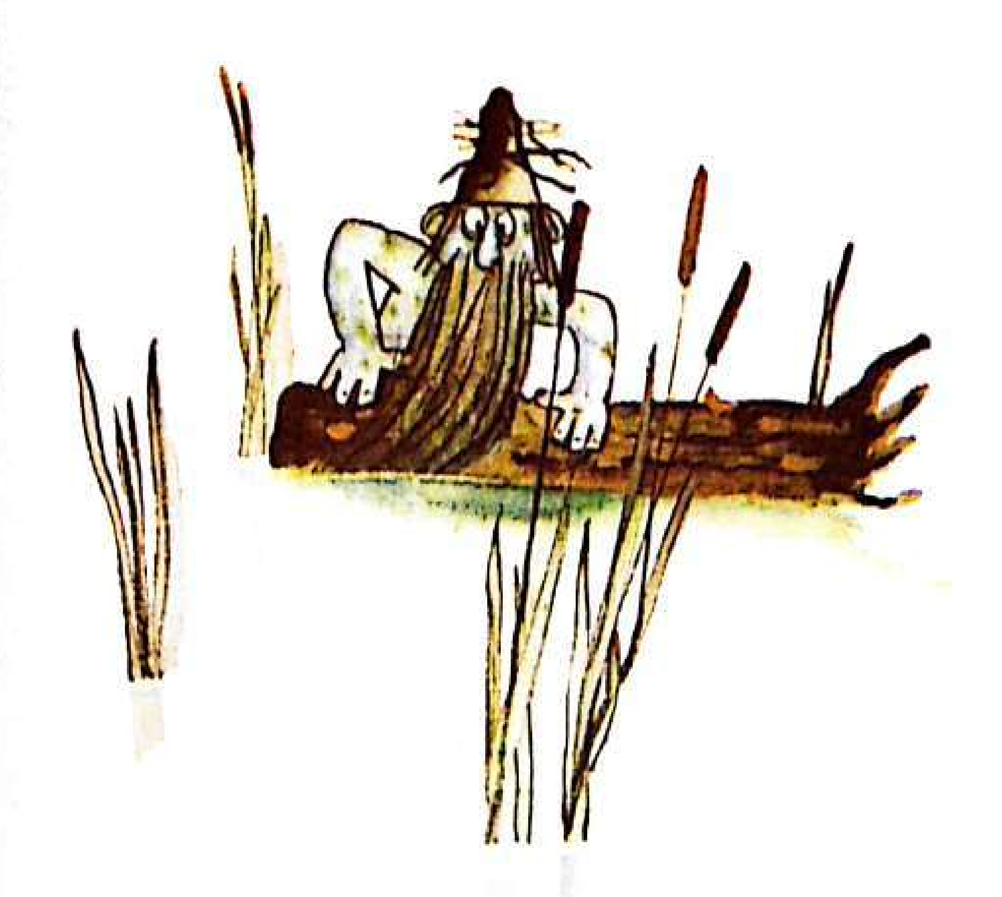
— عصفور نيا . . . ناعم . . . نونو . . . مثل الفأرة . . . يا خسارة . . .

ومر الأمر بسلام ، اذا تغاضينا عن ان الأم بقيت بلا ذيل .

١٩١٢







اليكسى تولستوى

ايفان وماريا

تأتي ايام السباحة في الاسبوع العاشر من عيد الفصح .

آنذاك تكون الشمس تلذع صدر الارض بحرارتها ، وعشب الشيح العجيب يأخذ بالازدهار ، ووهج الشمس يلتمع في قاع البحيرة الاخضر ، تحت الجذوع المغمورة ، واعشاب الماء .

وعرائس الماء لا تجد ما تحتجب به ، فتخرج في الاماسي الهادئة والليالي القمرية من تحت مياه البحيرة ، وتختفي في الاشجار ، فتسمى عندئذ عرائس الاشجار .

وهذا مدخل للحكاية . ولكن الحكاية هي :

في قديم الزمان وسالف العصر والاوان كان ايفان واخته ماريا يعيشان في كوخ صغير على شاطئ بحيرة .

والبحيرة هادئة ، ولكن سمعتها سيئة . إذ يقال ان فيها جن الماء يعربد .

وعندما يرتفع القمر فوق البحيرة يأخذ جن الماء بالبقبقة ، والقرقرة في اخوار

القصب ، ويضرب الماء كالمخباط ، ويخرج من القصب وهو يجلس على جذع البلوط ، وعلى رأسه طرطور مصنوع من طحالب الماء . وعندما يراه المرء يختفي خشية ان يغرقه في الماء .

وكان ايفان يحذر اخته ماريا بصرامة قائلاً :

— في غيابي لا تخرجي من الكوخ خطوة واحدة بعد هبوط الظلام ، ولا تغني عند ماء البحيرة ، واجلسي وديعة هادئة كالفئران . . .

فتقول ماريا :

— سمعاً ، يا اخي . .

خرج ايفان الى الغابة . واستوحشت ماريا في جلوسها وحيدة وراء المِخْوك . فاتكأت على مرفقها ، وانشأت تغني :

يا قمر الذهب اين انت ؟
طلع القمر فوق الماء
على البحيرة الفيحاء
وغاص في اللجة السوداء . . .

وفجأة صدر طرق على مصراع النافذة .

— مَنْ هناك ؟

ردّت اصوات رقيقة وراء النافذة :

— اخرجي الينا ، اخرجي الينا .

خرجت ماريا مسرعة ، وارسلت آهة عجب .

اذ رأت عرائس الماء يملأن الدرب من البحيرة حتى الكوخ .

امسكت احداهن بيد الاخرى ، ورُحن يدُورن ، ويضحكن ، ويلعبن .

صفقت ماريا بيديها . لا جدوى ! احطن بها العرائس ، ووضعن اكليلاً على رأسها . . .

— انضمي الينا ، يا احلى الفتيات ، وستكوني ملكتنا .

وامسكن بيد ماريا ، ورحن يدورنَ بها .

وفجأة طلع من وراء القصب رأس ازرق منفوخ وعليه طرطور .

قال جني الماء بصوت ابح :



— مرحباً ، يا ماريا . كنت في انتظارك من زمان . . .

ومدّ اليها برثنيه . . .

جاء ايفان في الضحى . وفتش على اخته هنا وهناك فلم يجدها . وبعد قليل رأى حذاءها وحزامها على الشاطئ .

جلس ايفان ، وصار يبكي .

وتمضي الأيام ، والشمس تدنو من الارض .

وجاء اسبوع السباحة .

ويفكر ايفان : «سأرحل ، واقضي بقية عمري عند الغرباء . فقط أن اصنع لنفسي خفاً من ليف الشجر» .

ووجد وراء البحيرة شجرة زيزفون ، وقطع بعض ليفها ، وضفر منه حذاء ، وخرج الى الغرباء .

سار وسار حتى رأى أمامه شجرة زيزفون مسلوخة ، هي التي قطع الليف منها وضفر حذاء .

فكر ايفان مع نفسه : «أوه ، كنت اسير في الجهة المعاكسة» . وغيَّر وجهة سيره .

سار عبر الغابة ودار فيها ، واذا به يرى شجرة الزيزفون المسلوخة مرة اخرى .

قال ايفان في نفسه :

— روح شريرة .

وذعر ، وراح يعدو .

ولكن خفّيه يستديران به من حيث جاء . . .

استبد الغضب بايفان ، فرفع الفأس يريد ان يهوي بها على شجرة الزيزفون .

فاذا بالشجرة تقول بصوت بشري :

— لا تقطعني ، يا اخي العزيز .

وسقطت الفأس من يدي ايفان .

— أهذه انت ، يا اختي ؟

— انا ، يا اخي العزيز . تزوجني جنيُّ الماء ، فصرت الآن شجرة عروساً . وفي الربيع سأعود عروسة ماء من جديد . . . وحين انتزعت الليف مني لتصنع لك خفاً ، سحرتك لكيلا تذهب من هنا بعيداً .

— وهل يمكن ان تخرجي من قبضة جني الماء ؟



— ممكن ، إذا جلبتَ عشب الشيح من مكان رجراج والقيتَه في وجهي .
وما إن قالت هذا حتى حمل الخفان ايفان ، وانطلقا به الى الغابة .
الريح تصفر في اذنيه ؛ والخفان يرتفعان به فوق الأرض ، ويصعدان ، وايفان منطلق في الأعالي في سحابة سوداء .
فكر ايفان مع نفسه : «ربما اسقط» وتشبث في غيمة رمادية لزجة رجراجة .
سار عبر غيمة ، لا يرى حوله اجمة ولا عشباً .
واذا بقزم بطول المرفق يتململ تحت قدميه ، ويخرج من ثغرة في الغيمة ، عليه طرطور أحمر .
وزعق القزم بصوت عال كصوت الثور لا يناسب طوله :
— لماذا جئت الى هنا ؟
انحنى ايفان له قائلاً :
— لأجلب عشب الشيح .
— سيكون لك عشب الشيح ، اذا تصارعت معي كما يتصارع الغجر .
واستلقيا على ظهريهما ، كما يفعل الغجر عند المصارعة ، ورفع كل منهما رجلاً الى الاعلى ، وتشابكا بهما ، وراح احدهما يسحب الآخر بقدمه .
والقزم بطول المرفق قوي في المصارعة ، ولكن الخفين يعينان ايفان .
وصار ايفان يسحب خصمه .
صاح القزم :
حالفك الحظ ، وإلا لكنت في السماء السابعة فَلَكَمْ ارسلت من امثالك الى هناك . هاك عشب الشيح .
والقى له حزمة .
اختطف ايفان الحزمة ، وانطلق الى الاسفل ، واذا بالقزم بطول المرفق يهدر ، ويرعد ، ويخرج لسانه الأحمر من السحابة ، يومض تارة ، ويخفت اخرى .
وصل ايفان الى شجرة الزيزفون ، فاذا به يرى شيخاً رهيباً يقتعد الأرض ، ويحرك شاربيه . . .
ويصيح ايفان :
— دعني اسير . فانا اعرف من انت . ألا تريد هذا ؟
ووخز جنيَّ الماء في وجهه بعشب الشيح .

وانتفخ جنيّ الماء ، وانفجر ، وتحول الى جدول سريع يمضي الى البحيرة .

وألقى ايفان عشب الشيح على شجرة الزيزفون ، فخرجت منها اخته ماريا ، وعانقت اخاها ، وراحت تبكي وتضحك في آن .

هجر ايفان وماريا الكوخ الصغير عند البحيرة ، وخرجا الى ما وراء الغابة الكثيفة السوداء ، ليعيشا في حقل منبسط ، لا يفارق احدهما الآخر .

وهما يعيشا سوية حتى الآن ، والناس ينادون دائماً عليهما سوية : ايفان ، ماريا ، ايفان ، ماريا .





صموئيل مارشاك

الشهور الاثنا عشر
(حكاية سلافية)

هل تعرف عدد الشهور في العام ؟

اثنا عشر شهراً .

وما اسماؤها ؟

كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، حزيران ، تموز ، آب ، ايلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الأول .

وحالما ينتهي شهر ، حتى يبدأ آخر . ولم يحدث قط أن جاء شباط قبل كانون الثاني ، وسبق أيار نيساناً .

وتتعاقب الشهور واحداً وراء الآخر ، ولا يجتمعان ألبتة .

ولكن الناس يزعمون ان فتاة في بلاد بوهيميا الجبلية ،رأت الشهور الأثني عشر كلها مجتمعة .

فكيف حصل هذا ؟ اليكم الحكاية .

كانت تعيش في احدى القرى الصغيرة إمرأة لئيمة شحيحة مع ابنتها ، وابنة أخرى من زوجها . وكانت تحب ابنتها ، ولا يروق لها شيء من ابنة زوجها ، مهما فعلت ، واينما حلّت .

كانت الابنة لا تفارق فراشها الريش اياماً كاملة ، وتلتهم الكعك بلا انقطاع ، بينما ابنة الزوج لا تستقر في مكان من الصباح حتى الليل ، تنقل الماء ، وتجلب الحطب من الغابة ، وتغسل الثياب في النهر ، وتقلع الاعشاب الضارة في حديقة البيت .

فكانت تعرف زمهرير الشتاء ، وقيظ الصيف ، وريح الربيع ، ومطر الخريف . ولربما من اجل هذا اسعفها الحظ ذات مرة لترى الشهور الاثني عشر مجتمعة .

كان الفصل شتاء ، والشهر كانون الثاني ، والثلج تساقط بكثرة ، حتى اقتضى الأمر جرفه بالارفاش من باب البيت ، وغرقت الاشجار على سفح الجبل في اكوامه الى النصف في الغابة ، حتى لم تعد تتمايل حين تعصف بها الريح .

ولزم الناس بيوتهم ، وادفأوها بالمواقد .

في مثل هذا الوقت فتحت زوجة الأب الخبيثة باب الكوخ قليلاً عند المساء ، ورأت زوبعة الثلج تدوّم ، ثم عادت الى الموقد الدافئ ، وقالت لابنة زوجها :

— حبذا لو خرجت الى الغابة ، وجمعت منها زهور الثلج الزرقاء ، فغداً عيد ميلاد اختك .

نظرت الفتاة الى زوجة ابيها لتعرف أهي هازلة ام جادة في ارسالها الى الغابة ؟ فما أرهب الغابة الآن ! ثم اي زهور ثلج في عز الشتاء ؟ فهي لا تطلع من تحت الثلج قبل حلول آذار ، ولن تجد واحدة منها الآن ، ومهما تجولت في الغابة فلن تقع الا على كثبان الثلج التي قد تنحدر بك فتهلك .

وتقول اختها لها :

— اذهبي ، ولن يبكي احد عليك حتى لو ضعت ! ولا تعودي بدون زهور . وهذه السلة فخذيها .

بكت الفتاة ، وتدثرت بمنديل رث ، وخرجت من الباب .

الريح تنثر الثلج في عينيها ، وتنتزع المنديل من عليها . وهي تسير لا تكاد تخرج رجليها من اكوام الثلج .



ويظلّم المساء حولها ، ويظلم . والسماء قاتمة لا تطل منها نجمة واحدة على الأرض ، والأرض اضوأ قليلاً منها لكسوة الثلج .

وها هي الغابة . والظلام فيها حالك لا يرى المرء فيه حتى يديه . جلست الفتاة على شجرة مطروحة ، وبقيت جالسة . تقول لنفسها : سواء عليَّ في اي مكان سأتجمد . وفجأة تلمح قبساً يلمع بعيداً ، بين الاشجار ، وكأن نجمة وقعت وتشربكت بين الاغصان .

نهضت الفتاة ، وسارت نحو هذا القبس . تغوص بالثلج تارة ، وتتخطى اشجاراً اوقعتها الزوبعة ارضاً تارة اخرى . وتقول في سرها : «لا اخشى إلا ان ينطفئ القبس !» . ولكن القبس لا ينطفئ ، بل يشتد اكثر سطوعاً لحظة بعد أخرى . ويفوح دخان دافئ ، وتسمع الفتاة فرقعة العساليج في النار . فتحث خطاها ، وتخرج الى فرجة في الغابة . وتقف مصعوقة .

كانت الفرجة منوَّرة بنور كنور الشمس . وفي وسطها تشتعل نار كبيرة تكاد تبلغ السماء . وحول النار يجلس الناس بعضهم اقرب اليها ، وبعضهم ابعد . يتحدثون فيما بينهم بهدوء .

وتنظر الفتاة اليهم ، وتتساءل مع نفسها : من هؤلاء ، يا تُرى ؟ فهم لا يشبهون الصيادين ، وابعد شبهاً بالحطابين . فهم في حلل قشيبة ، فضية وذهبية وخضراء مخملية .

واخذت تعدهم ، فاذا هم اثنا عشر : ثلاثة شيوخ ، وثلاثة كهول ، وثلاثة شبان ، والثلاثة الآخرون صبيان تماماً .

الشبان اقربهم الى النار ، والشيوخ ابعدهم عنها .

وفجأة التفت أحد الشيوخ ، وهو اطولهم قامة ، ذو لحية وحاجبين كثين . ونظر في الناحية التي وقفت فيها الفتاة .

ارتعبت الفتاة ، وهمت بالفرار ، ولكن الاوان قد فات اذ سألها العجوز بصوت عال : — من اين جئت ، وما غايتك هنا ؟

اظهرت الفتاة له سلتها الفارغة ، وقالت :

— عليَّ ان اجمع زهور الثلج في هذه السلة .

ضحك العجوز ، وقال :

— اي زهور ثلج في كانون الثاني ؟ اي مطلب هذا ؟

فتجيب الفتاة :

— ليس طلبي هذا . بل زوجة ابي ارسلتني الى هنا لاجمع زهور الثلج ، وأمرتني بألا اعود إلى البيت وسلتي فارغة .

وفي تلك اللحظة نظر الاثنا عشر اليها جميعاً ، وراحوا يتكلمون فيما بينهم . والفتاة في مكانها ، تصغي ، ولا تفهم كلامهم ، وكأن هؤلاء الناس لا يتكلمون ، بل الاشجار فيما حولهم ترسل حفيفاً .

وظلوا يتكلمون ، ويتكلمون ، ثم سكتوا .

ويلتفت الشيخ الطويل من جديد ، ويسأل :

— وماذا ستفعلين ، ان لم تجدي زهور الثلج ؟ فهي لا تطلع قبل شهر آذار .

فتقول الفتاة :

— سأظل في الغابة انتظر شهر آذار . خير لي ان اتجمد في الغابة من أن اعود الى البيت بلا زهور ثلج . قالت ذلك ، واخذت تبكي .

وفجأة نهض أحد الاثني عشر ، وهو اكثرهم شباباً ، مرح الاعطاف ، وفروته على احدى كتفيه ، وتقدم من الشيخ قائلاً :

— يا اخي كانون الثاني ، تنازل لي عن مكانك ساعة واحدة !

فيمسد الشيخ لحيته الطويلة ، ويقول :

— يمكن ان اتنازل لك ، ولكن كيف يسبق آذار شباط .

فيقول شيخ آخر اشعث تماماً له لحية منفوشة :

— طيب ، يا شيخ . تنازل . أنا لا اعترض ! نحن جميعاً نعرفها جيداً . نراها تارة عند فتحة الجليد تستقي الماء في جردلين ، وتارة في الغابة تحمل حزمة من الحطب . وهي اليفة لكل الشهور . ويجب مساعدتها .

قال كانون الثاني : — حسناً ، ليكن ما تريد .

وضرب الارض بعصاه الجليدية الطويلة ، وراح يقول :

يا شتا ، يا زمهرير
يا ابيض الناب
لا تسلخ القشرة
من شجر الغاب
والانسان من برده
يغلق الابواب

وسكت الشيخ ، وساد السكون في الغابة . وكفّ الزمهرير عن تجميد الاشجار فتوقفت فرقعتها ، وراح الثلج ينزل غزيراً بندف كبيرة ناعمة .

وقال كانون الثاني :

— والآن ، جاء دورك ، يا اخ ،

واعطى العصا الى اخيه الاصغر ، شباط الاشعث .

فضرب بها الارض ، وحرّك لحيته ، وراح يرعد :

اعصفي ، يا ريح
عربدي ، يا زوبعة
وارقصي في الليل
وانفخي في السحب
وهيء الحقول
آذار عن كثب

وما إن فرغ من ذلك حتى هزّت الاغصانَ ريح عاصفة رطبة ، ودارت دوامات من نثار الثلج ، وسرت على الأرض زوابع بيض .

واعطى شباط عصاه الجليدية الى اخيه الاصغر وقال :

— الآن جاء دورك ، يا أخ آذار .

تناول الاخ الاصغر العصا ، وضرب بها الارض .

وتنظر الفتاة الى العصا ، فاذا هي قد انقلبت غصناً كبيراً منظوماً بالبراعم .

ابتسم آذار ، وغنّى يصدح بكل صوته الصبوي الرنان :

اجرِ ، يا جداول
سيلي ، يا برك
وانت ، يا نمل
اترك الحفر
انما الشتاء
قام وارتحل

واستغربت الفتاة ، وبسطت ذراعيها دهشة . فأين ذهبت اكوام الثلج العالية ؟ وأين راحت دلالات الجَمدَ التي كانت تتدلى من كل غصن ؟

وتحت قدميها أرض ربيعية لينة . وحولها يقطر الماء ، ويخرخر ، ويترقرق .



وانفتحت البراعم على الاغصان ، ومن تحت القشرة الداكنة ، تنفتق الاوراق الخضر الأولى .

وتنظر الفتاة ، ولا تشبع من النظر .

فيقول آذار لها :

— ما لك واقفة ؟ اسرعي ، فان اخويّ لم يعطيانا إلا ساعة واحدة .

افاقت الفتاة على نفسها ، وركضت الى الغابة تبحث عن زهور الثلج الزرقاء . وما اكثرها ! اينما وجهت بصرها — أنها . تحت الاجمات ، وتحت الاحجار ، وعلى نتوءات الارض ، وتحتها . جمعت ملء سلة منها ، وملء مئزرها ، وعادت مسرعة الى فرجة الغابة ، حيث كانت النار تشتعل ، والاخوان الاثنا عشر يجلسون . فلم تجد ناراً ، ولا اخوة . . . وفرجة الغابة منيرة ، ولكن ليس كما من قبل بضوء النار ، بل بضوء القمر الذي ارتفع فوق الغابة .

تأسفت الفتاة على أنها لم تجد احداً لتشكره ، وركضت عائدة الى البيت . والقمر يلاحقها .

ووصلت الى باب البيت دون ان تحس بالارض تحت قدميها ، وما ان دخلت البيت حتى اخذت زوبعة الشتاء تعول وراء النوافذ ، واختفى القمر في السحب .

سألتها زوجة ابيها وأختها :

— عدت الى البيت ، اذن ؟ فأين زهور الثلج ؟

لم تجب الفتاة بشيء ، واكتفت بأن سكبت زهور الثلج من مئزرها على المصطبة ، ووضعت السلة الى جانبها .

تعجبت زوجة الاب والأخت ، وقالتا :

— ولكن من أين جلبتها ؟

قصت الفتاة عليهما كل ما حدث . وتسمع زوجة الاب والاخت ، وتهزان رأسيهما بين مصدّقة ومكذبة . والتصديق صعب ، ولكن ها هي كومة كبيرة من زهور الثلج على المصطبة طرية زرقاوية يفوح منها شهر آذار !

تبادلت زوجة الاب وابنتها النظرات وسألتاها :

— والشهور ألم يعطوا لك شيئاً آخر ؟

— ولكني لم اطلب شيئاً آخر .

فقالت الاخت :

— يا لك من حمقاء ! تسنح الفرصة لك للاجتماع بالشهور الاثني عشر جميعاً ، ولم تطلبي غير زهور الثلج ! آه ، لو كنت في مكانك ، لعرفت ماذا اطلب . اطلب من احدهم تفاحة ، وكمثرى حلوة ، ومن آخر عنباً برياً ناضجاً ، ومن ثالث فطراً لذيذاً ، ومن رابع خياراً طازجاً !

وتقول زوجة الاب :

— يا لك من ذكية ، يا ابنتي ! العنب البري والكمثرى في الشتاء لا يقدران بثمن . فلو بعناها لحصلنا على فلوس كثيرة ! اما الحمقاء هذه فاكتفت بزهور الثلج ، وجاءت تركض بها ! البسي ، يا ابنتي ، ملابس تدفئك اكثر ، واركضي الى فرجة الغابة . لن يخدعوك ، ولو كانوا اثني عشر ، وانت واحدة .

فترد الفتاة :

— وكيف يستطيعون !

وتضع يديها في كميها ، والمنديل على رأسها ، وتمضي ، فتقول أمها في اثرها صائحة :

— البسي قفازين ، وتدثري في الفراء !

ولكن الفتاة غادرت البيت ، وركضت الى الغابة !

وتسير على آثار أختها ، تتعجل الوصول . وتفكر مع نفسها «ليتني اصل الى فرجة الغابة في اقرب وقت !»

والغابة تتكاثف حولها ، ويشتد الظلام اكثر فاكثر . تزداد كثبان الثلج ارتفاعاً ، وحطام الاشجار الذي خلفته العاصفة يقف أمامها كالجدار .

وتفكر الابنة المفضّلة :

«آوه ، لماذا خرجت الى الغابة ! ليتني بقيت في البيت راقدة في الفراش الدافئ ، وما خرجت اركض واتجمد ! وربما اضيع ايضاً !»

وما كادت تصل الى تفكيرها هذا ، حتى ترى قبساً من بعيد ، مثل نجمة صغيرة تشربكت في الاغصان .

سارت باتجاه القبس . وظلت تسير حتى طلعت الى فرجة في الغابة . في وسطها نار كبيرة تشتعل ، وحولها يجلس الاخوة الاثنا عشر ، الشهور الاثنا عشر . يتحدثون في هدوء .

تقدمت الابنة المفضلة حتى بلغت النار ، دون أن تنحني بتحية ، ولا تبادر بسلام ، بل اختارت لها مكاناً ادفأ لها ، وصارت تتدفأ .

والاخوان الشهور لزموا الصمت . وهدأت الغابة . وفجأة ضرب شهر كانون الثاني العصا بالارض . ويسأل :

— من انت ؟ ومن أين اتيت ؟

اجابت الابنة المفضلة :

— من البيت . اليوم اعطيتم لاختي ملء سلة من زهور الثلج . فجئت على آثارها .

فيقول شهر كانون الثاني :

— اختك نعرفها . ولكن عيوننا لم تقع عليك قط . فلماذا تكرمت بالمجيء الينا ؟

— من اجل الهدايا . دع شهر حزيران يعطيني العنب البري ، ويملأ السلة به ، وبحبات اكبر . ودع شهر تموز يقدم لي الخيار الطازج ، والفطر اللذيذ ، وشهر آب التفاح والكمثرى الحلوة . اما شهر ايلول فليقدم لي الجوز الناضج ، وتشرين الأول . . .

فيقول شهر كانون الثاني :

— على مهلك . الصيف لا يسبق الربيع ، والربيع لا يسبق الشتاء . ما زال هناك وقت بعيد الى ان يحل شهر حزيران . والآن انا رب الغابة . وسأحكم هنا واحداً وثلاثين يوماً .

فتقول الابنة المفضلة :

— أوه ، يا حاد المزاج ! انا لم اجيء اليك . لا يُنتظر منك غير الثلج والجمد . أنا اريد شهور الصيف .

تعبَّس شهر كانون الثاني وقال :

— ابحثي عن الصيف في فصل الشتاء !

وهزَّ ردنه العريض ، فاذا بعاصفة من الثلج تهب في الغابة صاعدة من الارض نحو السماء . واكتست الاشجار وفرجة الغابة بالجمد . وحتى النار التي كان يجلس الاخوة حولها اختفت وراء الثلج ، ولم يسمع غير صفير النار وفرقعتها وتوهجها في مكان خفي .



ارتعبت الابنة المفضَّلة ، وراحت تصرخ :

— توقف ! هذا يكفي !

ولكن مَنْ يسمع !

وتحاصرها العاصفة ، وتعمي عينيها ، وتقطع انفاسها . فترتمي على كومة ثلج ، فيواريها الثلج .

أما زوجة الأب فقد انتظرت ابنتها وانتظرت ، ونظرت في النافذة ، فخرجت راكضة ، لاستقبالها ، ولم تجد احداً . ولم تصطبر ، فلفَّت نفسها بثياب دافئة ، وذهبت الى الغابة . ولكن هل من المعقول ان تجد احداً في جوف الغابة في مثل هذه الزوبعة والظلام !

سارت وسات ، وبحثت وفتشت ، حتى نفذ البرد الى عظامها . وغرقت في الثلج .

وهكذا بقيت كلتاهما في الغابة الى الابد .

وعاشت ابنة الزوج عمراً طويلاً كَبُرَت فيه وتزوجت وانجبت اطفالاً .

ويقال ايضاً كانت لها قرب البيت حديقة رائعة لا مثيل لها على الارض . كانت الزهور تتفتح فيها قبل تفتحها في كل الحدائق الأخرى ، وكذلك تبكر الاعناب والتفاح والكمثرى بالنضوج . والصيف فيها اكثر طراوة ، والعاصفة الثلجية أهدأ .

وكان الناس يقولون :

— الشهور الاثنا عشر يزورون ربة البيت هذه دفعة واحدة !

ومَنْ يدري ، فلربما كان ذلك .

١٩٤٣





يفغيني شفارتس

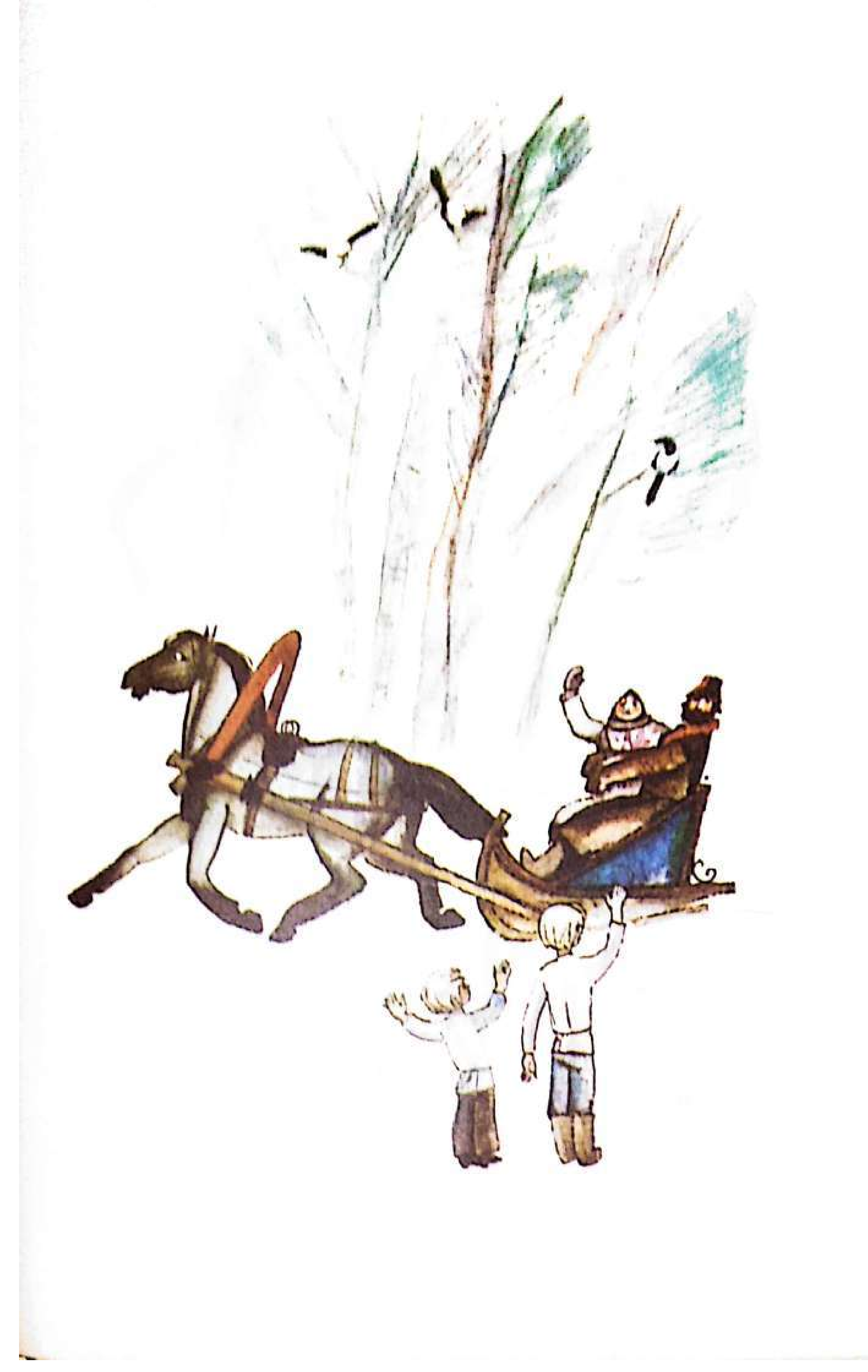
الاخوان

الاشجار لا تتكلم ، وهي تقف بلا حراك كأنها بلا حياة ، ولكنها حيَّة ، تتنفس ، وفي نمو مطرد طوال الحياة . وحتى الاشجار العمالقة العجائز تكبر كل عام ، كما يكبر الاطفال الصغار .

والرعاة يرعون القطعان ، وحُرّاس الغابات يرعون الغابات .

وفي سالف الزمان كان حارس غابة يدعى «ابو اللحية السوداء» يعيش في غابة هائلة كان يقضي سحابة نهاره في التجوال فيها ، وكان يعرف كل شجرة في غابته باسمها .

وكان حارس الغابة هذا منطلق الاسارير دائماً ، وهو في الغابة ، واذا اعتكف في بيته تعبس غالباً وراح يرسل الزفرات . كان يرتاح كثيراً في الغابة ، أما في البيت ، فان ولديه ، الكبير والصغير ، ينغصان عليه عيشه كثيراً . كان الكبير في الثانية عشرة ، والصغير في السابعة . وكانا يتشاجران كل يوم ،



وكأنهما ليسا أخوين ، رغم توسلات أبيهما وحضه لهما على العيش بسلام .

وذات مرة ، في صباح الثامن والعشرين من آخر شهر في العام ، استدعى حارس الغابة ولديه ، وأبلغهما انه لن يقيم لهما شجرة رأس السنة في هذا العام . إذ يقتضي الذهاب الى المدينة لشراء الزينة لها . وهو لا يستطيع ان يرسل أمهما لشرائها ، خوفاً عليها من ذئاب الطريق ، ولا يستطيع ان يذهب بنفسه ، لأنه لا يعرف الدوران على المخازن . كما لا يجوز أن يذهبا سوية ، لان الكبير سيفتك بالصغير لا محالة ، في غياب الوالدين .

كان الكبير صبياً ذكياً مجتهداً في دراسته ، قرأ الكتب الكثيرة ، وله منطق مقنع في الحديث . فراح يقنع اباه بأنه لن يؤذي الصغير ، وبأن كل شيء في البيت سيكون على ما يرام ، حتى يعود الوالدان من المدينة .

فسأل الأب :

— اتعطيني بذلك عهداً ؟

اجاب الكبير :

— اعطيك كلمة شرف .

قال الاب :

— حسنا . ستتغيب ثلاثة أيام . وسنعود في اليوم الحادي والثلاثين ، في نحو الثامنة مساء . وحتى ذلك الوقت ستكون رب البيت ، مسؤولاً عنه ، والأهم من ذلك ، مسؤولاً عن اخيك . ستكون في مقـــام أبيه . فألتزم !

وحضَّرت الأم ثلاث وجبات لكل يوم من الايام الثلاثة ، وعلَّمت الولدين كيف يدفئان الطعام على النار .

وجلب الأب حطباً لثلاثة أيام ، واعطى للكبير علبة ثقاب . وبعد ذلك شدَّ الحصان على زلاجة . ورنت اجراس الزلاجة وصَّرت الشحاطات حين تحركت الزلاجة حاملة الوالدين الى المدينة .

ومرَّ اليوم الاول بسلام ، واليوم الثاني كان احسن منه .

وجاء اليوم الاخير من العام . في الساعة السادسة قدَّم الكبير العشاء للصغير ، وقعد يطالع كتاب «السندباد البحري» . وبلغ امتع مقطع فيه ، حين يظهر الرخ فوق المركب هائلاً كالسحابة يحمل بين براثنه حجراً ثميناً بحجم بيت .

وتشوق الكبير الى ان يعرف ما سيحصل بعد : ولكن الصغير يحوم حوله ، ويتضجر ويغتم . فيروح يتوسل بأخيه قائلاً :

ـ العب معي قليلاً ، ارجوك .

وشجارهما كان يبدأ دائماً بهذا الشكل . الصغير يضجر بدون الكبير ، والكبير يطرد الصغير بلا أي رأفة ، ويصيح به : «اتركني في هدوء» .

وفي هذه المرة ايضاً انتهى الأمر نهاية سيئة . اصطبر الكبير واصطبر ، ثم امسك الصغير من تلابيبه ، وصرخ به : «اتركني في هدوء !» ، ودفعه الى الفناء ، واغلق الباب دونه .

والظلام في الشتاء يهبط مبكراً ، والليل مظلم حوله . راح الصغير يدق على الباب بقبضتيه ، ويصرخ :

ـ ما هذا الذي تفعله ! انت في مقام ابي !

انعصر قلب الكبير ، فتقدم خطوة نحو الباب ، ولكنه اخذ يفكر بعد ذلك : «لا بأس ، لا بأس . سأقرأ خمسة اسطر ، ثم اعيده الى البيت . لن يحصل شيء له في مثل هذا الوقت القصير» .

وجلس على المقعد ، وراح يقرأ ، وغرق في القراءة وحين تذكره ، كانت الساعة تشير الى الثامنة إلا ربعاً .

قفز الكبير ، وصاح :

ـ كيف هذا ! أي فعل ارتكبت ! الصغير هناك في الصقيع ، وحيداً ليس عليه ما يدفئه !

واندفع الى الفناء .

كانت ليلة حالكة الظلام ، والهدوء التام فيما حوله .

نادى الكبير على الصغير بكل صوته ، ولكن لم يجبه احد .

عندئذ اشعل المصباح ، وراح يبحث عنه بالمصباح في كل زاوية في الفناء . ولم يجد لأخيه اثراً .

وكان الثلج الجديد قد كسا الأرض ، وغطى على آثار الصغير . أختفى وكأن طائر الرخ حمله معه .

بكى الكبير بحرقة ، وراح يطلب المغفرة من الصغير بصوت عال .

وحتى هذا لم يساعده . ولم يرد الصغير عليه .

دقت الساعة في البيت ثماني دقات . وفي تلك اللحظة تردد صوت اجراس الزلاجة بعيداً في الغابة .

فكر الكبير في أسى : «والدانا عائدان . آه ، لو ان كل شيء عاد ساعتين الى الوراء ! اذن ، لما طردت اخي الصغير الى الفناء : ولكنا الآن واقفين جنباً الى جنب فرحين» .

رنين الاجراس يدنو ويدنو . وها هو صهيل الحصان يسمع ، ثم صريف الشحاطات ، وتدخل الزلاجة الى الفناء . قفز الأب منها . وقد غطّى الجمد لحيته السوداء ، فهي الآن بيضاء تماماً .

وفي أثر الأب نزلت الأم من الزلاجة تحمل في يدها سلّة كبيرة . وكان الاب والأم مبتهجين لا يعرفان المصيبة التي حلّت في بيتهما .

سألت الأم :

— لماذا انت في الفناء بلا معطف ؟

وسأل الاب :

— اين اخوك ؟

لم يجب الكبير بكلمة واحدة . فعاد الاب يسأله :

— اين اخوك الصغير ؟

انفجر الكبير باكياً . فامسكه الأب من يده ، وقاده الى البيت . وسارت الأم خلفهما صامتة . وقصّ الكبير لوالديه كل شيء .

ولما أتم الصبي قصته نظر الى ابيه . كانت الغرفة دافئة ، لكن الجمد لم يذب من على لحيته . فصرخ الكبير . اذ ادرك فجأة ان لحية ابيه شيباء الآن من الحزن .

قال الأب بصوت خافت :

— البس ثيابك ، واخرج ، ولا تتجرأ على العودة الا اذا عثرت على اخيك .

فتساءلت الأم باكية :

— يعني نبقى بلا اولاد كلياً ؟

الا أن الاب لم يرد عليها بشيء .

لبس الكبير ثيابه ، واخذ مصباحاً ، وخرج من البيت .

وسار منادياً اخاه وقتاً طويلاً ، ولكن دون أن يسمع رداً من أحد . كانت

الغابة المألوفة تقف حوله كالجدار . وخُيل للكبير أنه الآن وحيد في الدنيا . والأشجار
كائنات حية ، بالطبع ، ولكنها لا تتكلم ، وتقف في اماكنها كالمصعوقة
وهي ، فضلاً عن ذلك ، تغط في الشتاء في سبات عميق . ولم يجد الصبي
مَنْ يتكلم معه . تجول في الاماكن التي كان يركض فيها مع اخيه الصغير عادة .
وصعب عليه الآن ان يفهم لماذا كانا يتشاجران طوال حياتهما كالغرباء . وتذكر
اخاه الصغير نحيلاً تنتأ خصلة من الشعر في قفاه دائماً وتذكر كيف كان يضحك
حين كان الكبير يمزح معه احيانا ، وكيف كان يفرح ويبذل قصاراه حين يسمح
الكبير له ان يشترك في لعبه . فأسف الكبير على اخيه الصغير اسفاً شديداً . حتى
أنه لم يعد يشعر بالبرد ، ولا ظلاماً ولا سكوناً . غير أنه كان يحس بالرهبة
الشديدة ، بين حين وآخر ، فيتلفت فيما حوله ، كالارنب . كان الكبير ، في
الحقيقة ، صبياً كبيراً ، في الثانية عشرة ، ولكنه بدا صغيراً جداً . بالقياس
الى الاشجار الضخمة في الغابة .

انتهى من الطواف في منطقة ابيه من الغابة ، وبدأت امامه منطقة حارس
الغابة الجار الذي كان يأتي اليهم كل يوم أحد ، ليلعب الشطرنج مع الأب
وانتهت هذه المنطقة ايضاً ، فدخل الصبي المنطقة التي كان حارسها لا يزورهم
الا مرة واحدة في الشهر . ثم جاءت مناطق اخرى من الغابة لم ير الصبي حراسها
إلا مرة واحدة كل ثلاثة اشهر ، ثم مناطق لم ير حراسها الا كل نصف سنة .
ثم اخرى لم ير حراسها الا كل سنة . وفتيلة المصباح قد انطفأت منذ وقت طويل .
بينما الكبير ماض في سيره بخطى أسرع فأسرع .

انتهت مناطق الغابة التي لم ير الكبير حراسها طوال حياته ، ولكن سمع
بهم . وبعد ذلك صار دربه يرتفع اكثر فأكثر ، وعندما تنورت الدنيا . ارسل
الصبي بصره فيما حوله فرأى جبالاً مغطاة بغابات كثيفة اينما وجَّه بصره .

وتوقف الكبير .

كان يعرف أن الطريق من بيته الى الجبال يستغرق سبعة اسابيع ركوباً على
فرس . فكيف قطع هذه المسافة في ليلة واحدة فقط ؟

وفجأة سمع الصبي رنيناً خفيفاً من مسافة بعيدة بعيدة . في البداية تصوَّر
أن اذنيه توشوشان . وبعد ذلك راح يرتعش فرحاً . ألعلها أجراس زلاجة ؟ ربما
عثروا على اخيه ، وها هو أبوه يلاحقه على زلاجته ، ليعود به الى البيت ؟

ولكن الرنين لم يقترب . ثم ان أجراس الزلاجات لا ترن ابداً مثل هذا الرنين الرقيق المتساوي .

قال الكبير :

ـ لأذهب . وأرى أي رنين هذا .

وسار ساعة . وساعتين . وثلاثاً . والرنين يعلو ويعلو . وها هو الصبي يجد نفسه وسط اشجار عجيبة . إذ رأى حوله اشجار صنوبر عالية . ولكنها شفافة كالزجاج . تلمع قممها في الشمس لمعاناً يبهر الابصار . وكانت الريح تهزها ، فتضرب اغصاناً باغصان . فترسل الاغصان رنيناً بعد رنين .

وابعد الصبي في السير . فرأى اشجار شربين شفافة ، واشجار بتولا شفافة ، واشجار تيقب شفافة . ثم رأى شجرة بلوط هائلة شفافة تقف في وسط فرجة ، وترسل رنيناً عالي النبرة . كالنحلة الطنانة . وتعثر الصبي . ونظر الى الارض تحت قدميه . ما هذا ؟ الارض ايضاً شفافة في هذه الغابة . وجذور الاشجار الشفافة تغوص في بطن الارض . وتتلوى كالافاعي .

دنا الصبي من شجرة بتولا . واقتطع منها غصناً . وبينما كان الصبي يتمعن فيه . ذاب بين يديه كدلاة من جمد .

وادرك الصبي أن الغابة فيما حوله قد تجمدت حتى الاعماق ، وتحولت إلى جليد . وهذه الغابة قائمة على ارض جليدية . وجذور الاشجار جليدية ايضاً .

سأل الكبير :

ـ ولكن هذا الصقيع الرهيب هنا لماذا لم يصبني ؟

فاذا بصوت رقيق رنان يرد عليه :

ـ أمرت بألا يصيبك البرد باي أذى الى حين .

تلفت الصبي فيما حوله .

فرأى خلفه شيخاً طويلاً يرتدي فروة وقبعة وحذاء طويلاً من الثلج النقي . وكانت لحية الشيخ وشارباه من الجليد ترنان رنيناً خفيفاً حين كان يتكلم . كان الشيخ يحدق في الصبي لا يرف له رمش . وكان وجهه الذي لا يعبر عن الطيبة ولا الخبث هادئاً الى درجة جعلت قلب الصبي ينعصر في صدره .

وبعد ان صمت الشيخ قليلاً كرر بوضوح وانسياب . وكأنه كان يقرأ في كتاب او يُملي على احد قوله :



— أمرت . . . بالا يصيبك . . . اذى . . . الى حين . . . اقل اذى . هل تعرف مَنْ انا ؟

سأل الصبي :

— ألعلك الجد الصقيع° ؟

اجاب الشيخ ببرود :

— لا ، قطعاً ! الجد الصقيع ابني . وقد لعنته . إنه طيب اكثر من اللازم ، ذلك الضخم . أنا ابو الجد الصقيع وهذا شيء آخر تماماً ، يا صديقي الصغير . هيا ، اتبعني .

وسار الشيخ في المقدمة ، دون ان يُسمع صوت لوقع حذائيه الناعمين الثلجيين .

وبعد قليل توقفا عند تل عال شديد الانحدار . ونبش الشيخ في الثلج الذي صنعت منه فروته ، واخرج مفتاحاً جليدياً ضخماً ، وتقلقل قفل ، وانفتحت بوابة جليدية ثقيلة في التل .

وعاد الشيخ يقول :

— اتبعني .

هتف الصبي :

— ولكن اريد ان ابحث عن اخي .

قال الشيخ بهدوء :

— اخوك هنا . فاتبعني .

ودخلا في التل ، وانغلقت البوابة خلفهما مرسلة رنيناً . فرأى الكبير نفسه في قاعة جليدية هائلة فارغة ، كانت ترى منها القاعة المجاورة ، من خلال باب عال مفتوح ، ووراء القاعة قاعة أخرى ، ثم أخرى . ولا نهاية لهذه الحجرات الفسيحة الفارغة . وعلى الجدران مصابيح جليدية مستديرة تضيء . وعلى باب القاعة المجاورة حفر رقم «٢» على لوحة جليدية .

قال ابو الجد الصقيع :

— في قصري تسع واربعون قاعة مثل هذه . — ثم امره قائلاً : — اتبعني .

° يقوم الجد الصقيع في الحكايات الروسية مقام بابا نويل . المترجم .

كانت الارض الجليدية زلقة جداً ، حتى ان الصبي سقط مرتين ، ولكن الشيخ لم يكلف نفسه حتى ان يلتفت . كان يسير الى الامام بخطوات موزونة ، ولم يتوقف إلا في القاعة الخامسة والعشرين من القصر الجليدي .

كان في وسط هذه القاعة موقد ابيض عال . وسُرّ الصبي ، فقد كان يود كثيراً ان يتدفأ .

ولكن الحطب الجليدي في هذا الموقد كان يحترق بلهب اسود . وكانت انعكاسات النار السوداء تتراقص على الارض . فتحة الموقد تصدر برداً جليدياً .

جلس الشيخ على مسطبة جليدية عند الموقد الجليدي ، ومدّ اصابعه الجليدية نحو اللهب الجليدي .

واقترح على الصبي قائلاً :

— اجلس الى جانبي ، ولنتثلج .

لم يجب الصبي بشيء .

قعد الشيخ في وضع اروح ، وتثلج ، وتثلج ، حتى تحوّل الحطب الجليدي الى جمرات جليدية .

وعندئذ ملأ الشيخ الموقد بحطب جليدي ، واشعله باعواد ثقاب جليدية .

وقال للصبي :

— حسناً ، والآن سأكرس بعض الوقت للحديث معك . يجب . . . ان تصغي . . . اليَّ . . . بانتباه . فهمت ؟

هزّ الصبي رأسه .

وتابع الشيخ كلامه بوضوح وانسياب :

— انت . . . طردت . . . اخاك . . . الصغير . . . في الصقيع . . . بعد أن قلتَ . . . اتركني في هدوء . يعجبني تصرفك هذا . فانت تحب ان تُترك في هدوء ، مثلي . فابق هنا ، الى الأبد . فهمت ؟

هتف الكبير في أسى :

— ولكن ينتظروننا في البيت .

كرر الشيخ :

— ابق . . . هنا . . . الى الابد .

وتقدم من الموقد . وهزّ اذيال فروته الثلجية ، فصرخ الصبي متفجعاً . تناثرت

طيور من الثلج على الارض الجليدية . كومة من طيور الغاب ووحوشها الصغيرة ، تنطرح على الارض نافرة الريش ، منفوشة الفرو ، متجمدة .

قال الشيخ :

ـ هذه المخلوقات الضاجة لا تترك الغابة بسلام حتى في الشتاء .

سأل الصبي :

ـ هل هي ميتة ؟

اجاب الشيخ :

ـ جعلتها تخلد الى الهدوء . ولكن ليس كلياً . يجب تقليبها امام الموقد ، حتى تصير شفافة جداً وجليدية . تكفل ... سريعاً . . . بهذا . . . العمل . . . النافع .

صاح الصبي :

ـ سأهرب .

قال الشيخ بتصميم :

ـ لن تهرب الى اي مكان ! اخوك محبوس في القاعة التاسعة والاربعين . إنه في الوقت الحاضر يضطرك الى البقاء هنا . وبعد ذلك ستتعود عليَّ . ابدأ العمل .

جلس الصبي أمام فتحة الموقد المفتوحة . وتناول من الارض نقار خشب . واخذت يداه ترتعشان . فقد بدا له أن الطائر ما يزال يتنفس . ولكن الشيخ كان يتفرس في الصبي دون ان يرف له جفن ، فمدَّ الصبي نقَّار الخشب إلى اللهب الجليدي متضايقاً .

في البداية أبيض ريش الطائر البائس ، فصار كالثلج . ثم صار كله صلباً كالحجارة . وحين صار شفافاً كالزجاج قال الشيخ :

ـ إنه جاهز ! خذ الطائر التالي .

ظل الصبي يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل ، بينما ظل الشيخ واقفاً قربه بلا حراك .

وبعد ذلك وضع الطيور الجليدية في كيس بعناية ، وسأل الصبي :

ـ هل تجمدت يداك ؟

اجاب الصبي : ـ لا .

فقال الشيخ :

— هذا ما أمرت به ... ان لا يصيبك البرد بأذى الى حين ، ولكن اياك ! إذا ... لا تطيعني ... سأجمدك ... فاجلس ... هنا ... وانتظر ، سأعود قريباً .

وتناول الشيخ الكيس ، وسار في عمق القصر ، وبقي الصبي لوحده . في مكان بعيد جداً ، انصفق باب برنين ، ورددت صداه جميع القاعات .

وعاد الشيخ بكيس فارغ ، وقال :

— حان وقت الانصراف الى النوم .

وأشار الصبي إلى سرير جليدي كان في زاوية ، واحتل هو ايضاً سريراً مثله في الطرف المقابل من القاعة .

مضت دقيقتان او ثلاث ، وتخيل للصبي ان احداً يضبط ساعة جيب ، ولكن سرعان ما عرف أن الشيخ يشخر في نومه شخيراً خفيفاً .

في الصباح ايقظه الشيخ ، وقال :

— اذهب الى غرفة المؤونة ، بابها يقع في الزاوية اليسرى من القاعة ، واجلب الفطور رقم واحد ، إنه على الرف رقم تسعة .

ذهب الصبي الى غرفة المؤونة ، فرآها كبيرة كالقاعة ، والطعام المتجمد على الرفوف . وجلب الكبير الفطور رقم واحد ، على صحن من الجليد .

كانت الكفتة والشاي والخبز من الجليد كلها ، وكل ذلك كان يجب قضمه او مصه ، كما تمص المثلجات .

قال الشيخ بعد الانتهاء من الفطور :

— أنا خارج في شغل . يمكنك ان تطوف في كل الحجرات ، بل وتخرج من القصر .

وانصرف الشيخ دون أن يسمع صوت لوقع حذائه الثلجي على الأرض . أما الصبي فانطلق الى القاعة التاسعة والاربعين . كان يركض ويقع ، وينادي على اخيه ، بأعلى صوته ، ولكن لم يجبه الا الصدى . واخيراً وصل الى القاعة التاسعة والاربعين ، ووقع كالمتسمّر .

كانت كل الابواب مفتوحة على مصاريعها ، ما عدا الباب الاخير الذي كان يحمل رقم «٤٩» . كانت القاعة الاخيرة مغلقة تماماً .

صاح الاخ الكبير :

ـــ يا صغير ! جئت عليك . هل انت هنا ؟

فردد الصدى : «هنا ؟»

كان الباب مصنوعاً من قطعة واحدة من البلوط الجليدي المتجمد . انشب الصبي اظافره بقشرة البلوط الجليدية ، ولكن اصابعه انزلقت ، وافلتت . عندئذ صار يضرب الباب بقبضتيه ، وكتفه ، وقدميه ، حتى نفذت قواه . ولم تنقلع شظية واحدة من البلوط الجليدي .

عاد الصبي ادراجه بهدوء ، فدخل الشيخ القاعة على الفور تقريباً .

وبعد غداء جليدي ظل الصبي الى ساعة متأخرة من الليل يقلب الطيور والسناجيب والارانب البائسة امام النار الجليدي .

وهكذا انقضت الايام وراء الايام .

وطوال ذلك الوقت كان الكبير يفكر في شيء واحد لا يتغير : بأى شيء يحطم الباب البلوطي الجليدي . بحث في ارجاء حجرة المؤنة ، وقلب اكياس الكرنب المتجمد ، والقمح المتجمد ، والجوز المتجمد ، آملاً في ان يجد فأساً . ووجدها اخيراً ، ولكن الفأس نطت من البلوط الجليدي كما تنط من حجارة .

وراح الكبير يفكر في صحوته ومنامه ، في شيء واحد لا يتغيّر .

كان الشيخ يثني على الصبي لهدوئه . كان يقول وهو واقف قرب الموقد بلا حراك كالعمود ينظر الى الطيور والارانب والسناجيب تتحول الى جليد :

ـــ لا ، أنا لم اخطأ فيك ، يا صديقي الصغير . «اتركني في هدوء !» كلمات كبيرة . وبمثل هذه الكلمات يقتل الناس اخوانهم باستمرار . «اتركني في هدوء !» . هذه هي . . . كلمات . . . كبيرة . . . ستحقق . . . في يوم ما . . . الهدوء الابدي . . . على الأرض .

بينما كان ابو الصبي وامه واخوه البائس وجميع المعارف من حراس الغابة يتكلمون ببساطة ، كان الشيخ كمن يقرأ في كتاب ، فكان حديثه يثير الوحشة ، كالقاعات الضخمة المرقّمة .

كان الشيخ يحب تذكر الازمان القديمة ، حين كان الجليد يغطي الارض كلها تقريباً .

فكان يقول ، وشارباه ولحيته الجليدية ترن رنيناً خفيفاً حين يتكلم :

— آه ، كم كان العيش هادئاً رائعاً آنذاك في عالم ابيض بارد . كنت آنذاك شاباً مفعماً بالقوة . فاين اختفى اصدقائي الاعزاء الماموث الجبابرة الهادئون الرصينون ! كم احببت التحدث معهم ! حقاً لغة الماموث صعبة . كانت لهذه الحيوانات الجبارة كلمات جبارة مثلها ، وطويلة بشكل غير اعتيادي . وكان تلفظ كلمة واحدة بلغة الماموث يقتضي صرف يومين واحياناً ثلاثة ايام . لكن . . . لم يكن . . . ثمة . . . حاجة . . . الى الاستعجال . . . آنذاك .

وذات مرة ، بينما كان الصبي يصغي الى حكايات ابو الجد الصقيع ، وثب من مكانه ، وراح ينط كالمسعور .

سأله الشيخ بجفاء :

— ما يعني سلوكك السخيف هذا ؟

لم يرد الصبي باية كلمة . ولكن قلبه كان يخفق في صدره من الفرح .

حين يطيل المرء التفكير في شيء واحد لا يتغير ، فلا بد ان يهتدي في تفكيره اخيراً الى فكرة نافعة :

اعواد الثقاب !

تذكر أن في جيبه اعواد الثقاب التي اعطاه له ابوه ، حين ذهب الى المدينة .

وفي اليوم التالي ، وحالما خرج ابو الجد الصقيع الى عمله ، أخذ الصبي من حجرة المؤنة ، فأساً وحبلاً ، وخرج راكضاً من القصر .

سار الشيخ الى اليسار ، وركض الصبي يميناً ، الى الغابة الحيّة التي كانت تلوح وراء الجذوع الشفافة لاشجار الجليد . وعند حافتها تماماً كانت شجرة صنوبر كبيرة مطروحة في الثلج . وأخذت الفأس تطرق ، وعاد الصبي الى القصر بحزمة كبيرة من الحطب .

وهيأ ووضع الصبي كومة عالية من الحطب عند الباب البلوطي الجليدي المؤدي الى القاعة التاسعة والاربعين . واشتعل عود الثقاب ، وصارت قطامـــات الخشب تفرقع ، والحطب يحترق ، واللهب الحقيقي يتصاعد ، وراح الصبي يضحك فرحاً . جلس عند النار ، يتدفأ ويتدفأ .

في بادىء الامر لمع الباب البلوطي وارسل بريقاً يؤذي العين ، الا انه في آخر الامر تغطى كله بقطرات ماء صغيرة . وحين انطفأت النار رأى الصبي ان الباب قد ذاب قليلاً .

ــ اها !

قال الصبي ، وضرب الباب بالفأس . ولكن البلوط الجليدي كان ، كما من قبل ، صلباً كالحجارة .

قال الصبي :

ــ حسناً ! غداً سنبدأ من جديد .

في المساء تناول الصبي ، وهو جالس عند الموقد الجليدي ، زُرَيقاً صغيراً ، وخبأه في كمه باحتراس . ولم يلحظ الشيخ شيئاً . وفي اليوم التالي ، حين اشتعلت النار ، مدَّ الطائر نحو النار .

وانتظر ، وانتظر ، واذا بمنقار الطائر يهتز فجأة ، وتنفتح عيناه ، واذا بالطائر ينظر الى الصبي .

حياه الصبي وهو يكاد يبكي من الفرح :

ــ مرحباً ! ويلك ، يا أبو الجد القبع ! الايام بيننا !

وصار الصبي يدفئ كل يوم الطيور والسناجيب والارانب . واقام لاصدقائه الجدد بيوتاً صغيرة من الثلج في زوايا القاعة ، حيث النور أقل . وفرش هذه البيوت بالاشنة التي كان يجمعها من الغابة الحيَّة . وكانت الليالي باردة ، بالطبع ، ولكن الطيور ، والسناجيب والارانب كانت تدفأ عند النار دفئاً يكفيها حتى الصباح التالي .

والآن صارت اكياس الكرنب والحبوب والجوز نافعة . فكان الصبي يطعم اصدقاءه الى حد الشبع . ثم صار يلعب معها قرب النار ، أو يحدثها عن اخيه المخبأ وراء الباب . وكان يتراءى له أن الطيور والسناجيب والارانب تفهمه .

وذات مرة ، جلب الصبي حزمة من الحطب ، على عادته ، واشعل ناراً ، وجلس قرب النار . ولكن اياً من اصدقائه لم يخرج من بيوت الثلج .

همَّ الصبي ان يسأل «ابن انتم ؟» الا أن يداً جليدية ثقيلة ابعدته عن النار بحدة . انها يد أبو الجد الصقيع ، فقد انسل هذا اليه خلسة يطأ الارض بحذائيه الثلجيين دون ان يحدث صوتاً .

نفخ في النار ، فاذا بالحطب يصير شفافاً ، واللهب اسود . وحين همد الحطب الجليدي صار الباب الجليدي كما كان منذ ايام عديدة .

وقال أبو الجد الصقيع ببرود :

ــ اذا . . . وجدتُك . . . هنا . . . مرة أخرى . . . جمَّدتك .

ورفع الفأس من الارض ، وخبأها عميقاً في ثلج فروته .

بكى الطفل يوماً كاملاً . وفي الليل غفا من القهر كالقتيل . واذا به يسمع من خلال النوم احداً يدق على خده في حذر ببراثنه الناعمة .

فتح الصبي عينيه .

فرأى ارنباً يقف بالقرب منه .

كان جميع اصدقائه مجتمعين حول سريره الجليدي . لم يخرجوا في الصباح من بيوتهم الصغيرة ، لأنهم تحسسوا خطراً . ولكنهم الآن ، حين غفا ابو الجد الصقيع ، جاؤوا لمساعدة صديقهم .

حين استيقظ الصبي ، اندفعت سبعة سناجيب الى سرير الشيخ الجليدي ، ونبشت في ثلج فروته ، وظلت تبحث فيها وقتاً طويلاً ، واذا بشيء رنَّ فيها رنيناً خافتاً .

تمتم الشيخ في نومه :

— اتركني في هدوء .

وقفزت السناجيب على الارض ، وركضت الى الصبي .

فرآها تحمل بين اسنانها حزمة كبيرة من المفاتيح الجليدية .

وفهم الصبي كل شيء .

اندفع الى القاعة التاسعة والاربعين ، والمفاتيح في يده . وكان اصدقاؤه في اثره يطيرون ، ويقفزون ، ويركضون .

وها هو الباب البلوطي .

وجد الصبي مفتاحاً يحمل رقم «٤٩» . ولكن اين فتحة القفل ؟ بحث ، وبحث ، وبحث . . . ولكن دون طائل .

عند ذاك طار العصفور الى الباب ، وانشب اظفاره ، في قشرتها البلوطية ، وصار يدب على الباب ورأسه الى الاسفل . حتى وجد شيئاً . وزغرد زغردة خفيفة ، فاذا بسبعة طيور من نقاري الخشب تطير الى الموضع الذي اشار اليه العصفور من الباب .

راحت نقارة الخشب تضرب الجليد بمناقيرها الصلبة بدأب . وظلت تضرب حتى انقلعت من الباب لوحة — صغيرة جليدية مربعة الشكل ، وسقطت على الأرض ، وتهشمت .

ورأى الصبي وراءها فتحة قفل كبيرة . فوضع المفتاح فيها ، واداره ، فقلقل القفل . وانفتح الباب العصيّ اخيراً ، ورنّ .

ودخل الصبي القاعة الاخيرة من القصر الجليدي مرتجفاً . كانت اكوام من الطيور والحيوانات البرية المتجمدة الشفافة ترقد على الارض .

وكان الاخ الصغير البائس يقف على منضدة جليدية في وسط الحجرة . كان حزيناً جداً ، ينظر أمامه والدموع تلمع على خديه . وخصلة الشعر على قفاه نائتة كما هي دائماً . ولكنه كان شفافاً بكليته . وكأنه من زجاج ، ووجهه ، ويداه ، وسترته . وخصلة الشعر ، والدموع على خديه كلها من الجليد . ولم يكن يتنفس ، بل ينظر الى امامه صامتاً دون ان يرد عليه بكلمة . همس الكبير :

— لنركض . ارجوك . لنركض ! ماما بانتظارنا ! لنركض الى البيت بأسرع ما يمكن !

ولم ينتظر الكبير ردّ اخيه المتجمد . وحمله على يديه ، وركض بحذر عبر القاعات الجليدية الى المخرج من القصر . واصدقاؤه الحيوانات تطير وتنط وتنطلق في اثره .

كان أبو الجد الصقيع يغط في سبات عميق كما كان من قبل . فافلحوا في الخروج من القصر .

كانت الشمس قد طلعت لتوها . والاشجار الجليدية تلمع لمعاناً يبهر الابصار . ركض الكبير نحو الغابة الحية بحذر ، خائفاً ان يتعثر ، ويوقع اخاه الصغير . وفجأة صدرت صيحة عالية في الخلف .

كان أبو الجد الصقيع يصيح بصوت حاد النبرة وعال جداً ، حتى أن الاشجار الجليدية كانت ترتجف :

— يا صبي ! يا صبي ! يا صبي !

وفجأة شاعت برودة فظيعة . واحس الكبير بأن قدميه تبردان . ويديه تتجمدان وتتخدران . بينما ظل الصغير ينظر الى الأمام في أسى . كما كان من قبل . والدموع المتجمدة تلمع في الشمس .

أمر الشيخ :

— توقف !

وتوقف الكبير .



وفجأة اقتربت كل الطيور من الصبي تماماً ، وكأنما غطته بفروة حيّة دافئة . وانتعش الكبير ، وركض قُدماً ، ينظر الى موضع قدميه بحذر ، يصون اخاه الصغير بكل قوته .

كان الشيخ يقترب ، والصبي لا يستطيع ان يركض اسرع ، فقد كانت الارض الجليدية زلقة جداً . وقد اخذ يفكر في أنه هالك ، واذا بالأرانب تلقى بنفسها حجر عثرة تحت قدمي الشيخ الخبيث . وسقط ابو الجد الصقيع ، وحين كان ينهض ، كانت الارانب تصنع من نفسها حجر عثرة تحت قدميه ، فكان يسقط مرة بعد أخرى . وكانت الارانب تقوم بذلك ، وهي ترتجف ذعراً ، ولكن كان عليها ان تنقذ احسن صديق لها . وحين نهض الشيخ للمرة الاخيرة ، كان الصبي قد قطع شوطا بعيداً حتى وجد نفسه في الغابة الحيَّة ، ممسكاً اخاه في يديه بقوة . وبكى ابو الجد الصقيع من شدة الغيظ .

وحين شرع يبكي دَفُأت الدنيا في الحال .

ورأى الكبير الثلج يذوب بسرعة حوله ، والجداول تجري في المنخفضات . وفي الاسفل ، عند سفوح الجبال ، ظهرت البراعم على الاشجار .

وصاح الكبير فَرِحاً :

ـــ انظر ، زهرة الثلج !

ولكن الصغير لم يرد بكلمة . ظل على جموده السابق ، كالدمية ، ينظر الى امامه في حزن .

قال الكبير للصغير :

ـــ لا بأس . أبونا يجيد عمل كل شيء ! سيحييك . بالتأكيد سيحييك !

وركض الصبي بكل ما تستطيع ساقاه ، ممسكاً اخاه في يديه بقوة . وصل الى الجبال مدفوعاً بقوة غمه ، اما الآن فالفرحة كانت تنطلق به ، كالعاصفة . ولماذا لا يفرح ، وقد وجد اخاه !

وانتهت مناطق الغابة التي لم ير الكبير حراسها ، بل سمع بهم ، وتراءت المناطق التي لم ير الصبي حراسها الا كل عام ، وبعدها جاءت مناطق لم ير حراسها الا كل نصف عام ، ثم جاءت مناطق لم ير حراسها الا مرتين في كل ثلاثة اشهر . وكلما دنا من بيته ، صار الجو حوله ادفأ . وكان اصدقاؤه الارانب تتقلب في الهواء من الفرح ، والسناجيب الاصدقاء تقفز من غصن الى

غصن ، والطيور الاصدقاء تصفر وتغرد . والاشجار لا تتكلم ، وحتى هذه كانت تحف من الفرحة . ذلك لان اوراقها قد طلعت ، والربيع قد هلّ .

وفجأة انزلق الاخ الكبير .

كان ثلج داكن ذائب يرقد في قعر حفرة ، تحت شجرة قيقب عجوز ، لم تطل الشمس الى ما تحتها .

ووقع الكبير .

وارتطم الصغير المسكين بجذر الشجرة .

وخيم سكون مطبق على الغابة فجأة .

وصدر الصوت الحاد المألوف من الثلج خفيضاً :

ــ بالطبع . . . . ليس . . . . من السهل . . . . ان تهرب . . . . مني !

وقع الكبير على الارض ، وراح يبكي بمرارة ، كما لم يبك قط في حياته كلها . وما من شيء يتعزى به .

بكى وبكى حتى غفا من غمه كالصريع .

جمعت الطيور اشلاء الصغير ، ووضعت السناجيب شلواً مع شلو باظافرها القوية . ولزقتها بغراء البتولا . ثم احاطت جميعها بالصغير ، مثل فراء حي دافئ . وعندما طلعت الشمس طارت عنه جميعاً . واذا بشمس الربيع تغمره ، وتدفئ اوصاله بحذر ولطف ، حتى جفت الدموع من على خديه . وانغلقت عيناه بهدوء ، وصارت يداه دافئتين ، وسترته مخططة ، وحذاؤه اسود ، ورقّت خصلة الشعر على قفاه . زفر الصبي مرة ثم أخرى ، وصار يتنفس ، باتساق وهدوء ، مثلما كان يفعل دائماً ، حين ينام .

وعندما استيقظ الكبير رأى اخاه نائماً على تلّة سليماً لم يلحقه اذى . وقف الكبير مشدوهاً يقلب عينيه ، ولا يفهم شيئاً ، بينما الطيور تغرد ، والغابة تحف باشجارها ، والجداول تترقرق في السواقي رقرقة عالية .

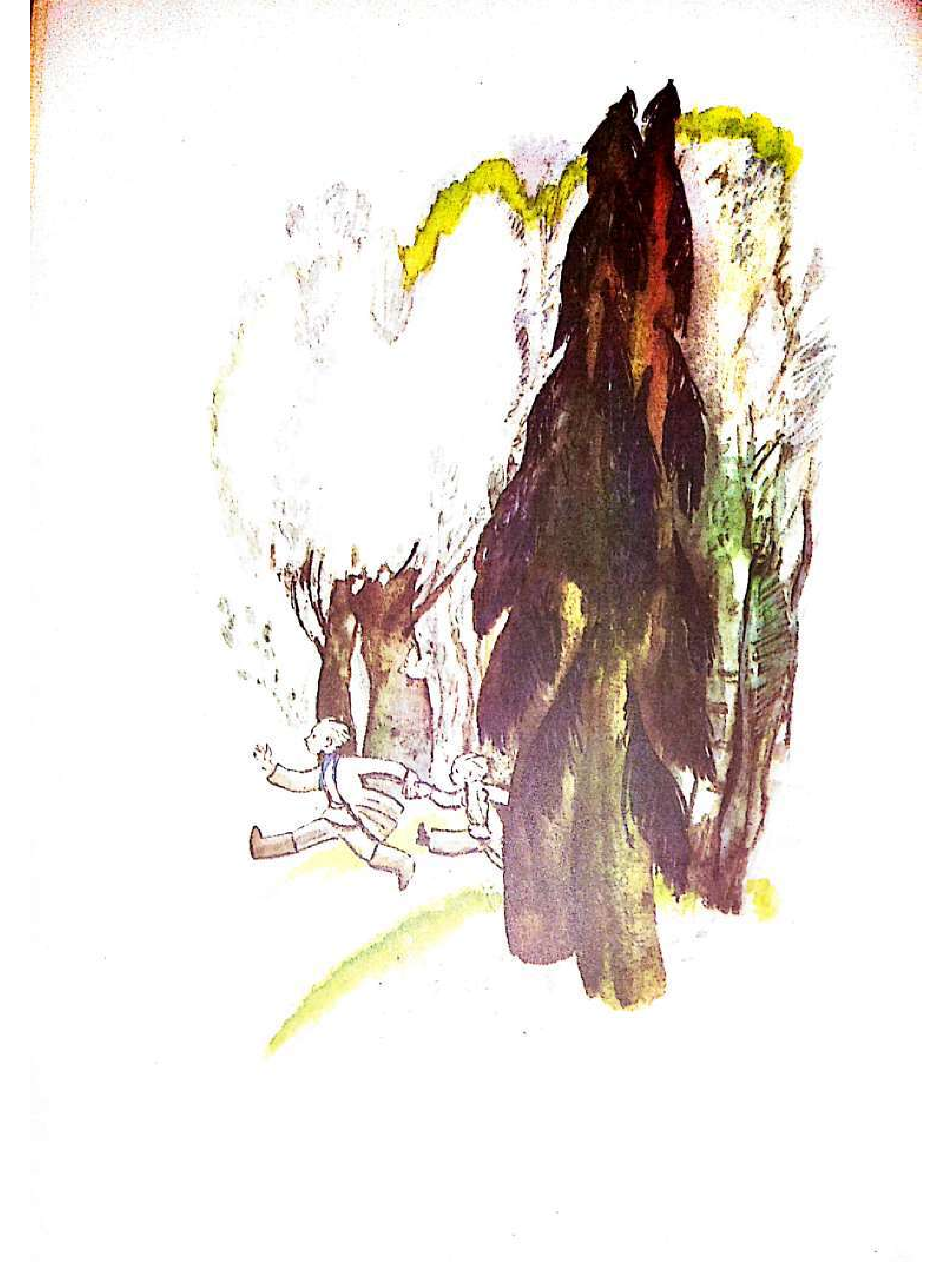
وافاق الكبير على نفسه ، واندفع الى الصغير ، وامسكه من يده .

ويفتح هذا عينيه ، ويسأل وكأن شيئاً لم يحدث :

ــ أهذا انت ؟ كم الساعة الآن ؟

وطوّقه الكبير ، وساعده على النهوض ، فانطلق الاثنان الى البيت .

كان الأب والأم يجلسان عند النافذة المفتوحة صامتين . ووجـــه الأب



حاد صارم ، كما كان في ذلك المساء ، حين أمر الكبير بالخروج للبحث عن اخيه .

قالت الأم :

— أوه ، كيف تغرد الطيور اليوم باصوات عالية .

اجاب الأب :

— فرحاً بالدفء .

قالت الأم :

— والسناجيب تقفز من غصن الى غصن .

اجاب الأب :

— سروراً بالربيع ايضاً .

وفجأة صاحت الأم :

— هل تسمع ؟ !

اجاب الأب :

— لا . ماذا حصل ؟

— شخص يركض نحونا !

كرر الأب بحزن :

— لا ! أنا ايضاً كنت اتخيل ، طوال الشتاء ، أن الثلج يصرف تحت النوافذ . لا أحد يركض الينا .

ولكن الأم كانت قد طلعت الى الفناء ، وراحت تنادي :

— يا اولاد ، يا اولاد !

وخرج الأب في اثرها . ورأى كلاهما الكبير والصغير يركضان في الغابة يمسك أحدهما بيد الآخر .

واندفع الوالدان للقياهما .

وعندما هدأ الجميع قليلاً ، ودخلوا البيت ، نظر الكبير الى ابيه ، وأرسل آهة العجب .

فقد رأى لحيته الشيباء تدكن ، وتعود سوداء كالسابق . وارتدّ اصغر سناً بعشرة اعوام من ذلك .

والناس تشيب من الغم ، ويختفي الشيب بالفرحة ، ويذوب ، كما يذوب

الجمد في الشمس . وهذا ، في الحقيقة ، نادراً ما يحدث . ولكنه يحدث على اية حال .

ومنذ ذلك الحين عاشوا بهناء .

حقاً كان الكبير يقول للصغير من حين لآخر :

ـــ اتركني بهدوء .

ولكنه كان يضيف في الحال :

ـــ اتركني لوقت قصير ، لحوالي عشر دقائق ، من فضلك . ارجوك كثيراً .

وكان الصغير يطيعه دائماً ، لأن الاخوان صارا يعيشان في وئام آنذاك .





باقل باجوف

الحافر الفضي

كان يعيش قرب مصنعنا عجوز وحيد يكنى كوكوفانيا ، لم يبق من عائلته أحد . ففكر في أن يتبنى يتيماً . وسأل جيرانه عما اذا كانوا يعرفون احداً ، فقالوا له :

— قبل وقت قصير ، مات غريغوري بوتوبايف ، وتيتمت عائلته . فأمر الوكيل بأن تشتغل البنات الكبيرات عاملات في معمل السادة . وبقيت صبية في السادسة من العمر ، لم يرغب فيها أحد . فخذها انت ، اذن .

— سيصعب عليَّ تبني صبية . لو كان صبياً ، لكان ذلك افضل ، ولعلمته صنعتي . ولصار معيناً لي . فكيف مع صبية ؟ وماذا سأعلمها ؟

ثم فكر العجوز وفكر حتى قال :

— كنت اعرف غريغوري المرحوم هذا ، واعرف زوجته ايضاً . كلاهما كان مرحاً . وحاذقاً . ولو كانت الصبية على والديها ، لعشنا في الكوخ بلا وحشة . سأخذها . ولكن هل ستقبل ؟

فيقول الجيران موضحين :

— انها في ضيق من العيش . فالوكيل اعطى كوخ غريغوري الى بائس ، وطلب اليه أن يطعم اليتيمة بالمقابل ، الى ان تكبر . ولهذا البائس عائلة تضم اكثر من عشرة افواه لا تأكل حتى الشبع . فتناكدها الزوجة ، وتعنفها على لقمة الخبز . وهذه تفهم ، وان كانت صغيرة . وتتكدر . فكيف لا تهجر مثل هذه العيشة ! والظاهر انك تقنعها .

فيجب كوكوفانيا :

— هذا حق . سأقنعها بشكل من الاشكال .

وفي احد ايام الاعياد ذهب الى الذين كانت اليتيمة تعيش معهم . ورأى الكوخ غاصاً بالناس كباراً وصغاراً . والصبية تجلس على الدكة قرب الموقد ، والى جانبها قطة بنيّة اللون ، صغيرة ، ونحيفة جداً بائسة المظهر يندر أن يترك الناس امثالها تدخل الى بيوتهم . والصبية تمسد على القطة ، فتهر هذه هريراً يملأ الكوخ كله .

ويرمق كوكوفانيا الصبية ، ويسأل :

— أهذه دارينكا غريغوري ؟

فتجيب ربة البيت :

— هي بالذات . ولا يكفيها وحدها ، بل استضافت قطة جرباء . ولا نقدر ان نطردها . خمشت كل أطفالي ، وعلاوة على ذلك نطعمها !

فيقول كوكوفانيا :

— أطفالك لا يرأفون بها ، على ما يبدو ، فتهر قرب الصبية .

ثم يسأل اليتيمة :

— طيب ، يا دارينكا ، الا تأتين للعيش معي ؟

اندهشت الصبية :

— يا جد ، كيف عرفت ان اسمي دارينكا ؟

فيجيب :

— هذا ما حصل . لم افكر ولم اخمن ، بل جاء على لساني مصادفة .

فتسأل الصبية :

— مَنْ انت ؟

ـــ أنا ؟ ربما صياد . في الصيف ، اصفي الرمال ، استخرج منها الذهب . وفي الشتاء اطارد الظبي ، ولكن لم استطع ان أراه .

ـــ وترميه ؟

فيجيب كوكوفانيا :

ـــ لا . بل ارمي الغزلان العادية . اما الظبي منها فلا ارميه . بل يلذ لي أن أرى في أي موضع يضرب برجله الامامية اليمنى .

ـــ وما حاجتك الى هذا ؟

ـــ تعالي واقيمي عندي ، وساقصّ لك كل شيء .

رغبت الفتاة أن تعرف حكاية الظبي . كما أنها وجدت العجوز مرحاً ولطيفاً . فتقول له :

ـــ لنذهب . فقط ان تأخذ هذه القطة مورينكا ايضاً . انظر كم هي حلوة .

فيرد العجوز :

ـــ لا حاجة الى أن تذكري ذلك . الاحمق وحده يترك مثل هذه القطة الصدّاحة . ستكون لنا في كوخنا بمثابة البالالايكا * .

سمعت ربة البيت حديثهما . فسُرّت سروراً عظيماً لدعوة كوكوفانيا لليتيمة لتعيش معه . فاسرعت تجمع حاجيات دارينكا خائفة أن يغيّر العجوز فكره .

والقطة ايضاً ، بدت وكأنها تفهم كل الحديث ، فراحت تحتك عند قدميه ، وتهر وكأنها تقول :

ـــ صائب . . في تفكيرك صائب .

وهكذا اخذ كوكوفانيا اليتيمة الى بيته لتعيش معه .

كوكوفانيا الطويل القامة ذو اللحية ، وهي ، الضئيلة الجسم ، الصغيرة الانف ، يسيران في الشارع ، والقطة الهزيلة تنط وراءهما .

وصارت اليتيمة دارينكا والقطة مورينكا تعيشان في بيت الجد كوكوفانيا عيشة راضية ، ليست من الهم صافية . تصرفها الاعمال عن الشكوى من رقـــة الحال .

كان كوكوفانيا يخرج الى العمل منذ الصباح ، ودارينكا تنشغل بشؤون المنزل ،

---

* الة موسيقية شعبية روسية . **المترجم** .



تخبز وتطبخ ، والقطة مورينكا تطارد الفئران . حتى اذا حل المساء اجتمع شملهم ، وحلا لهوهم .

وكان العجوز ماهراً في رواية الحكايات . واحبت دارينكا سماع تلك الحكايات ، والقطة مورينكا تقبع وتهر :

— صائب . في كلامك صائب .

ولكن دارينكا تذكر بعد كل حكاية :

— يا جد ، احكِ لي عن الظبي ، كيف هو ؟

وكان كوكوفانيا يمتنع عن الكلام في بادئ الامر ، وبعد ذلك شرع يحكي :

— ذلك الظبـي مخصوص . له حافر فضيّ في رجله الامامية اليمنى . اينما ضرب الأرض بحافره هذا ، ظهر حجر كريم في ذلك الموضع . اذا ضرب ضربة واحدة طلع حجر واحد ، واذا ضرب ضربتين طلع حجران ، واذا ضرب برجله مراراً ظهرت كومة من الاحجار الكريمة .

قال ذلك ، وتأسف على كلامه لان دارينكا منذ ذلك الحين لا تتحدث الا عن هذا الظبي :

— يا جد ، هل هو كبير ؟

قال لها كوكوفانيا : هذا الظبي بعلو المنضدة ، ولا اكثر ، وقوائمه نحيلة ، ورأسه صغير .

فتعود دارينكا لتسأله :

— يا جد ، وهل له قرون ؟

— له قرون ممتازة . للغزلان العادية فرعان من القرون ، أما هو فله خمسة فروع .

— يا جد ، هل يأكل احداً ؟

— لا يأكل احداً . ولا يتغذى الا على العشب واوراق الشجر . ولكنه في الشتاء يأكل الدريس من اكوامه من حين لآخر .

— وأي وبر له ، ياجد ؟

— في الصيف بنيّ ، كما لقطتنا مورينكا ، وفي الشتاء رمادي .

— ورائحته نتنة ، يا جد ؟

غضب كوكوفانيا ، وقال :

— اي رائحة نتنة ! توجد غزلان داجنة تفوح منها هذه الرائحة . وغزال الغابة يفوح رائحة غابة .

وفي الخريف أخذ كوكوفانيا يتهيأ للغابة . كان يريد أن يرى في اية جهة ترعى الغزلان اكثر ، وتتوسل اليه دارينكا :

— خذني معك ، يا جد . ربما سأرى ذلك الظبي من بعيد .

فيوضح لها كوكوفانيا قائلاً :

— من بعيد لا تستطيعين ان تبصريه جيداً . لكل الغزلان في الخريف قرون . ولا تعرفين كم عددها . اما في الشتاء فالأمر مختلف . الغزلان العادية بلا قرون . اما هذا الظبي ذو الحافر الفضي ، فله قرون صيفاً وشتاءً . عندئذ تستطيعين ان تعرفيه من بعيد .

واقنعها بذلك . بقيت دارينكا في البيت ، وخرج كوكوفانيا الى الغابة .

وعاد كوكوفانيا الى بيته بعد حوالي خمسة ايام ، ويقول لدارينكا :

— الآن ترعى غزلان كثيرة في ناحية بولدنيفسكيا . وسأذهب الى هناك في الشتاء .

فتسأله دارينكا :

— وكيف تبيت في الغابة شتاء ؟

يجيبها :

— عندي كوخ شتائي هناك ، فى مروج العشب . كوخ جيد فيه موقد ونافذة . والعيش فيه لطيف .

فتسأل دارينكا مرة اخرى :

— وابو الحافر الفضي يرعى في تلك الناحية ايضاً ؟

— مَنْ يعرف ؟ ربما يرعى هناك ايضاً .

فأخذت دارينكا تتوسل اليه قائلة :

— خذني معك ، يا جد . سالازم الكوخ . وقد يقترب ابو الحافر الفضي ، فأراه عن قريب .

في اول الأمر هزَّ العجوز ذراعه قائلاً :

— لا ! لا ! لا يجوز لفتاة صغيرة ان تخرج الى الغابة شتاء ! لا بد من السير في الغابة على الزلاجات ، وانت لا تحسنين السير عليها . ستغرقين في الثلج . فماذا سيكون امري معك ؟ اخشى ان تتجمدي هناك .

الا أن دارينكا تظل على اصرارها .
— خذني ، يا جد . استطيع السير على الزلاجات .
وظل كوكوفانيا يعارض ويعارض ، ثم فكر مع نفسه :
«هل آخذها ؟ سترى مرة ، وبعدها لن تطلب أن آخذها مرة اخرى» .
فيقول لها :
— طيب ، سأخذك . ولكن حذار أن تبكي هناك وتطلبي العودة الى البيت قبل الاوان .
وحالما اشتد الشتاء ، حتى أخذا يستعدان للخروج الى الغابة . وضع كوكوفانيا في زلاجة يدوية كيسين من البقسماط ، ولوازم الصياد وغير ذلك مما يحتاج اليه . كما هيأت دارينكا صرة لنفسها ايضاً . وأخذت فضلات من القماش لتخيط ثوباً لدميتها ، وبكرة خيوط ، وأبرة ، وحبلاً .
وتفكر في سرها :
«الا يمكن أن اصطاد أبا الحافر الفضي بهذا الحبل ؟»
وتأسفت دارينكا على تركها لقطتها . ولكن لا بد مما ليس منه بد . فتمسد على قطتها مودعة ، وتقول لها :
— أنا والجد خارجان الى الغابة ، يا مورينكا ، فابقي انت في البيت ، واصطادي الفئران . وسنعود حالما نرى أبا الحافر الفضي . وعندئذ ساقصّ عليك كل شيء .
وتنظر القطة اليها نظرة ماكرة ، وتهر :
— صائب . تفكيرك صائب .
خرج كوكوفانيا ودارينكا ، وجميع الجيران مندهشون قائلين :
— اخرفَ العجوز ! يخرج بمثل هذه الصبية الصغيرة الى الغابة ، في الشتاء !
وما ان خرج كوكوفانيا ودارينكا من منطقة المصنع ، حتى سمعا الكلاب تنبح ، مغتاظة بقوة من شيء ما . وارتفع نباحها وزعيقها حتى لكأنها رأت وحشاً في الشوارع . التفتا فرأيا مورينكا تركض في وسط الشارع تطاردها الكلاب . وكانت مورينكا ، في ذلك الوقت ، قد سمنت وصارت قطة كبيرة ناصحة . والكلاب لا تجرؤ على الاقتراب منها .
ارادت دارينكا أن تمسك القطة ، وتحملها الى البيت ، ولكن هيهات !

ركضت مورينكا ، حتى وصلت الغابة ، وتسلقت شجرة صنوبر . فاين مَنْ يصعد اليها ؟

صاحت دارينكا تناديها ، ولم تستطع أن تغويها بالنزول . فما العمل ؟ واصل الجد والصبية سيرهما ، ثم يلتفتان . فاذا بالقطة تركض غير بعيد عنهما . وعلى هذا النحو بلغت الكوخ معهما .

وهكذا صار الثلاثة يقيمون في الكوخ . وتقول دارينكا ممتدحة :

— هذا امرح لنا .

ويوافقها كوكوفانيا :

— امرح ، بالتأكيد .

والقطة مورينكا تقبع عند الموقد ، وتهر هريراً رناناً :

— صائب ، كلامكما صائب .

كانت الغزلان كثيرة في ذلك الشتاء ، وكلها غزلان عادية . وكان كوكوفانيا يجلب كل يوم واحداً او اثنين منها الى الكوخ . وتجمعت لديهما جلود الغزلان ، ولحمها المملح . ولكن كيف ينقل ذلك على زلاجة يدوية صغيرة ؟ حبذا لو ذهب الجد ليجلب حصاناً من المصنع ، ولكن كيف يترك دارينكا والقطة وحدهما في الغابة ! كانت دارينكا قد تعودت العيش في الغابة . وتفاتح الجد قائلة :

— اذهب الى المصنع ، يا جد ، واجلب من هناك حصاناً . يجب نقل اللحم المملح الى البيت .

فيقول كوكوفانيا بدهشة :

— يا لك من مدبرة ، يا حلوة . صرت تفكرين كما يفكر الكبار . ولكن اظن انك ستخافين ، اذا بقيت وحيدة .

فتجيب :

— وما الذي اخافه . كوخنا متين ، ولا تستطيع الذئاب الوصول اليه . ومورينكا معي . فلن اخاف . فقط أن تعجل بالعودة ، على كل حال .

وخرج كوكوفانيا . وبقيت دارينكا والقطة مورينكا . وكانت قد تعودت البقاء بدونه في الكوخ نهاراً ، بينما هو يتصيد الغزلان . . . وما إن حل الظلام حتى احست بالرهبة . وتلتفت وترى قطتها مورينكا تقبع هادئة ساكنة ، فيسرِّي ذلك عنها . جلست عند النافذة ، تنظر في ناحية مروج العشب ، وترى في الغابة

شيئاً يتدحرج كالكرة . وحين اقترب منها ، تبينت أنه غزال يجري . قوائمه نحيلة ، ورأسه صغير ، وله خمسة فروع من القرون .

خرجت دارينكا مسرعة لتلقي نظرة ، فلم تجد احداً . فعادت تقول لنفسها :

— يظهر أني غفوت ، وتراءى لي .

وتهر القطة مورينكا :

— صائب . . . كلامك صائب .

استلقت دارينكا قرب القطة ، وغفت حتى الصباح .

وانقضى يوم آخر . ولم يعد كوكوفانيا . واستوحشت دارينكا ، ولكنها لم تبك . وتمسّد على قطتها مورينكا وتقول لها :

— لا تستوحشي ، مورينكا ! غداً سيعود الجد من كل بد .

ومورينكا تردد اغنيتها :

— صائب . . . كلامك صائب .

وجلست دارينكا الى النافذة مرة أخرى ، تمتع عينيها بالنجوم . وارادت أن تأوي الى فراشها ، ولكنها سمعت فجأة كركبة تصدر عبر الجدار . ارتعبت دارينكا . وانتقلت الكركبة الى جدار آخر ، ثم الى الجدار الذي فيه النافذة ، ثم الى الجدار الذي فيه الباب ، ثم الى السقف ، وصدرت من هناك طبطبة ، ليست بالعالية ، وكأن مخلوقا خفيفاً سريع الحركة يسير هناك . فتفكر دارينكا مع نفسها :

«ربما هو غزال الامس جاء راكضاً ؟»

واستولت عليها رغبة قوية في أن ترى ذلك ، وانهزم الخوف امام هذه الرغبة . فتحت الباب ، واطلت ، فرأت ذلك الظبي على مقربة دانية منها ، وعلى رأسه خمسة فروع من القرون . رفع الظبي رجله الامامية اليمنى كأنه يريد ان يضرب الارض ، والحافر الفضي يلمع عليها . ولا تعرف دارينكا ماذا عليها ان تفعل ، ولكنها تناديه كما تنادي حيواناً دجيناً مغرية اياه اليها :

— تعال ! تعال !

وضحك الظبي على ذلك ، واستدار ، وجرى مبتعداً .

دخلت دارينكا الكوخ ، وتقول محدثة قطتها مورينكا :

— ها أنا قد رأيت ابا الحافر الفضي ، ونظرت الى قرونه ، والى حافره .



ولكن لم أره يخرج الاحجار الكريمة بقدمه . سيفعل ذلك ، في المرة القادمة ، على ما يبدو .

اما مورينكا فتردد اغنيتها دون ان تلتفت اليها :

— صائب . . . كلامك صائب .

وجاء اليوم الثالث ، وكوكوفانيا ما يزال غائباً . فحزنت دارينكا غاية الحزن . واخذت الدموع تنزل من عينيها . ارادت أن تتكلم مع مورينكا ولم تجدها . افزعها ذلك الى اقصى حد . فخرجت من الكوخ تبحث عن القطة .

كان الليل مقمراً ، منيراً ، والعين ترى من بعيد . وترى دارينكا القطة مورينكا جالسة في مرجة العشب غير بعيد منها ، وأمامها الظبي يقف رافعاً قدمه . والحافر الفضي يلمع عليها .

وتهز مورينكا رأسها ، وكذلك الظبي ، وكأنما يتكلمان . ثم اخذا يركضان في مروج العشب . ويركض الظبي ويركض ، ثم يتوقف ، ويضرب الأرض بحافره . فتركض القطة مورينكا نحوه ، فيبتعد عنها ، ثم يعود فيضرب الارض بحافره . وهكذا ظلا وقتاً طويلاً يركضان في مروج العشب ، حتى اختفيا عن الانظار . ثم عادا متجهين صوب الكوخ .

وحين وصل الظبي اليه . قفز على السطح ، وراح يضربه بحافره الفضي حتى خرجت من تحت قدمه احجار كريمة كما يخرج الشرر ، احمر ، وازرق ، واخضر ، وفيروزياً ومن مختلف الالوان .

وفي ذلك الوقت بالذات عاد كوكوفانيا . ولا يستطيع ان يتعرف على كوخه . فقد صار مثل كتلة من الاحجار الكريمة . ويتوهج ويتماوج انواراً شتى . والظبي يقف فوقه ، يضرب حافره الفضي ، والاحجار تتساقط وتتساقط . واذا بالقطة مورينكا تقفز الى هناك ، وتقف الى جانب الظبي ، وتموء مواءاً عالياً حتى تختفي هي وابو الحافر الفضي عن الانظار .

التقط كوكوفانيا على الفور نصف قبعة من الاحجار ، ولكن دارينكا رجته قائلة :

— لا تمسها ، يا جد ! وغداً في النهار سنمتع النظر فيها .

واطاعها كوكوفانيا . إلا أن ثلجاً كثيراً سقط عند الصباح . وغطى الاحجار

كلها . وحين جاءا يزيحان الثلج ثانية لم يعثرا على شيء . ولكن كان لديهما في قبعة كوكوفانيا ما يكفيهما .

وكان من الممكن ان يكون كل شيء على ما يرام ، لو لا اختفاء مورينكا المسكينة ، كما أن أبا الحافر الفضي لم يظهر بعد . ظهر مرة واحدة ، وكفاية .

والناس صاروا يجدون احجاراً صغيرة في مروج العشب التي كان الظبي يقفز فيها . واكثر هذه الاحجار خضراء . ويسمونها الخادره . فهل رأيتموها ؟

عام ١٩٣٨





اولغا فورش

الوحوش الماكرة

١

لم يكن لطالب العسكرية فاسيا غير جده وجدته يطيعهما . فقد توفي عنه ابوه وامه منذ زمان . وفي الشتاء كان فاسيا يدرس في المدرسة العسكرية ، وفي الصيف يغادر الى قريته ، حيث كان له فيها بيت كبير ، له شرفة زجاجية ، وخلف البيت بستان ، وحديقة خضروات .

وكان جده ، وهو جنرال متقاعد بدين ورقيق الحاشية ، يصلّح كل ما يجب تصليحه : الساعات المنبِّهة ، طاحونات القهوة ، أو ينتزع الديدان من اشجار الفاكهة . وكانت الجدة ، وهي صغيرة الجسم وبدينة ايضاً ، تقضي نهارها كله في صنع المربّى في الشرفة الزجاجية ، وتصّنف انواع الفطر ، وتجفف توت العليق ، وتصيح من حين لآخر : «لوكريوشكا ، هاتي علبة فارغة . لوكريوشكا ، هاتي خلاً ، فلفلاً ، ورقة غار !»

وكانت العجوز لوكريوشكا هذه تقيم في المطبخ ، تخبز الكعك ، وتنظف قفص

الببغاء الخضراء ، وحين كان رب البيت وربته يخرجان الى المدينة كانا يسلمان المفاتيح لها . ولم يكن في فم هذه العجوز غير سنين ، واحدة فى الأعلى ، والاخرى فى الاسفل ، كما ان سمعها سيئ ، وبصرها اسوأ ، اذ تحسب رداء السيدة الفارغ السيدة نفسها ، فتتكلم معه ، وكأنما تكلم السيدة .

وكانت الجدة ، كلما خرجت الى المدينة تتأوه قائلة :

ـ ستحرق العجوز البيت ، فلا هي تسمع ، ولا هي ترى ، وتترك اللصوص يدخلون من الشباك .

فكان الجد يهدؤها :

ـ لا شيء سيحدث ! العجوز هي التي ربتني !

وكان فاسيا ، طالب العسكرية ، صاحب غواية ليس له هم او غم غير الصيد ، ولهذا اكمل في دروسه صيفاً ، وبدلاً من أن ينكب على كتبه المدرسية ، كان يقضي وقته سارحاً بين الشجر ، والاسطبل ، وخن الدجاج . . . كان يأخذ البيض من الدجاج ، ويطرق من صفاره شراباً له . وبسبب هذا الشراب وقعت فى البيت حادثة كبيرة .

والمشكلة ان فاسيا لم يكن وحده ينسل الى خن الدجاج هذا ، بل كان الى جانبه ثعلب يتلذذ بالفراخ ، لا بالبيض . كان ينسل بهدوء تام لا تجيده غير الافاعي ، ويمسك فرخة من خناقها ، واخرى ، وثالثة .

ويصيح الديك عليه : «عيعو . . عيعو !» وتصيح الدجاجة «قيقو ، قيقو ، الى اين انت ؟!» ولكن البشر وحدهم يسمعون العيعو والقيقو هذه ، بينما هي عند الحيوان شتائم فظيعة ، ولكن الثعلب لا يبالي بذلك . بل يأكل حتى الشبع ، ويفتك بأكثر مما يأكل .

وذات مساء ، التقى فاسيا طالب العسكرية بالثعلب في خن الدجـــاج . كان الثعلب يختفي في حصائر بمثل لونه تقريباً ، وهو لا يكـــاد يتنفس ، ولا يحدث صوتاً ، بينما عينه ترى كل شيء من خلال الثقب ، واذناه منتصبتان .

وفاسيا يخفق صفار البيض بالملعقة ، ثم يلحس منه شيئاً ، وعلى وجهه امارات التلذذ .

وبلع الثعلب لعابه ويقول في نفسه : «حبذا لو اجرب !»

وما كاد فاسيا يركض وراء فراشة لحظة ، حتى قفز الثعلب الى شراب البيض ، ولحسه . ويقول :

— رائع ! جميل ان يكون لي ايضاً مثل هذا الطعام .

ورأى الثعلب ايضاً أن فاسيا ينام على وسائد بيضاء ، وتحت لحاف أبيض .

فيقول :

— رائع ! جميل ان يكون لي ايضاً مثل هذا الفراش .

وعنت للثعلب فكرة .

٢

في الغابة الكثيفة كان يعيش حيوان مضحك يدعى «الغُرَيْر» ، وهو اكبر من الثعلب بقليل ، اخرق الحركات ، بوزه ورأسه مخططان بخطوط بيض . والغرير ليس ذكياً جداً ، ولكنه منظم في حياته ، ومعتنٍ . يحفر وجاره في الناحية المشمسة ، ويفرشه بالاشنة واوراق الشجر ، ويصنع انابيب تمتد من تحت الى فوق يتسرب منها الهواء الطلق ، فهو لا يحب أن يفوح مسكنه برائحة كريهة . فهذه الحيوانات لا تتحمل رائحة الثعلب مطلقاً .

والثعلب كان يعرف كل ذلك جيداً ، ولما كان يحتاج الى غُرير لتنفيذ فكرته ، تربص حتى حل الليل الحالك ، وخرج الغرير لجمع المؤن ، عند ذاك قفز الثعلب الى وجاره النظيف ، وقد لفّ ذيله حول نفسه .

وعندما تنوّرت الدنيا وعاد الغُرير الى وجاره محملاً بالمؤنة ، متعباً عرقاً ، ولسانه متدلٍ يود لو يستريح قليلاً . اصطدم ببوز الثعلب المدبب ، فصاح غاضباً :

— اخرج ، اخرج من هنا .

وقال الثعلب له :

— وحتى لو خرجت ، فان رائحتي ستبقى . في الغد سأجلب صغاري ، وبعد غد سأجلب ابناء عمي ، فلن تستطيع ان تتنفس لما نخلفه من رائحة !

بكى الغُرير المسكين ، ووضع المؤونة على الأرض ، ومسح عينيه ببراثنه ، اذ لا يستطيع ان يمسحها بذيله ، لأن ذيله قصير .

قال له الثعلب ضاحكاً :

ــ امسح دموعك ، يا غرير ، امسح . وجدت لك وجاراً احسن ، إذ ستنام على وسادة بيضاء ، وتحت لحاف ابيض ، وستقضم السكر والتفاح والزبيب الذي هو عنب محفوظ للشتاء .

مسح الغرير برثناً ببرثن . فقد كان يحب العنب كثيراً ، ولكنه تذكر أن الثعلب حيوان ماكر ، فقال بتحوط :

ــ وماذا تريد مني بالمقابل ؟

قال الثعلب بعظمة :

ــ اولاً مشِّط ذيلي ، ثم تعلَّم ايضاً كيف تقف على رجلين اثنتين ، لأن اسمك في وجاري الجديد لن يكون الغُرير ، بل فاسيا طالب العسكرية . واذا اردت جميع التفاصيل ، اتبعني .

وركض الثعلب الى الغابة ، حتى دون ان يلتفت الى الغُرير . فقد كان يعرف أنه لن يقيم في الوجار الفاسد على اية حال . وبالفعل تشمم الغُرير وجاره جيداً ، وبصق متضايقاً ، وجرى وراء الثعلب .

وسار الاثنان ، وسارا ، وقد وخزتهما الاشواك ، وعلق بهما الوحل وهما يشقان طريقهما عبر الغابة ، حتى تنورت الدنيا اخيراً ، فرأيا دباً .

كان الدب يرقد على مرجة صغيرة مستريحاً يتدفأ في الشمس ، وقد رفع براثنه الى الاعلى . فوقه الشمس ، وتحته الطحلب الاخضر .

ويصرخ الثعلب من بعيد :

ــ هاي ، يا دب ! هل تريد ان تصير جنرالاً ؟

فيضحك الدب هازئاً ، ويقول :

ــ وهل حياتي اسوأ من حياة الجنرال ؟

قال الثعلب ضاحكاً :

ــ غباء منك ان تقول هذا الكلام . فانت قذر منفوش الشعر ، بلا ربطة عنق . وتأكل ما يقع في يديك . فاين منك الجنرال !

كان هذا الدب المتشرد ــ مثلما كان الجميع في الغابة يصفونه ــ دباً صغيراً كان عليه ان يحمي ويربي اخوانه الصغار . وكان قوياً جداً ، وضخم الهيئة ، ولكنه كسول مثل اللقام الشره حتى أن والديه لم يأسفا عليه ، حين ترك اخوانه الصغار ، وراح يتسكع على غير هدى .

قال الثعلب :

— الشتاء على الابواب ، ايها المتشرد . ويحَسُن بك ان تقضي الشتاء في مغارة دافئة . فهل ستصنع لنفسك مغارة أم تعود الى مغارة والديك ؟ . . .

وكان الثعلب يعرف جيداً أن الدب اذا عاد فسيطرده والداه ، كما ان كسله يمنعه من أن يصنع لنفسه مغارة ، ثم ان اوان صنعها قد فات لان الصقيع سيجمد الارض عن قريب .

حزن المتشرد السمين ، وتناول غصناً صغيراً ، ونظف به برثنه ليخفي دموعه .

انتظر الثعلب دقيقة ودقيقتين ، وجلس الى جانب الدب الصغير على اكمة ، وراح يمسد عليه بيده الناعمة . ويداعبه قائلاً :

— لا تحزن ولا تغتم . تهرأت اقدامي من المشى ، حتى عثرت لك على مغارة شتائية ، وما اروعها ! ستأكل يومياً كل ما تشتهي النفس ، وتنام على ريش ، تحت لحاف ابيض ، وتأكل عنباً محفوظاً للشتاء يسميه الناس زبيباً . وتختار ما يحلو لك من العسل من كل الانواع .

استأنس الدب ، وقال :

— يعجبني هذا كثيراً .

— شيء ممتاز ، يا دب ، يا ذكي ! — قال له الثعلب ممتدحاً — بعد اسبوع سيسافر السادة اهل البيت : الجنرال وزوجته وطالب العسكرية فاسيا . ولا يبقى في البيت غير عجوز ثقيلة السمع ، وضعيفة البصر ، وببغاء خضراء .

فسأله الدب متخوفاً :

— ببغاء ؟ ما هو الببغاء ؟ ألا يضربني على بوزي ، مثلما تفعل امي ؟

ويضحك الثعلب ويقول :

— عجيب امرك ! الببغاء دائماً في القفص . وهو طائر ، وان كان يشتم مثل الانسان . والعجوز حالما تراك في لباس الجنرال ستحسبك الجنرال نفسه بالتأكيد .

فغمغم الدب المتشرد بسرور :

— هيه . . هيه ! ومَنْ آتي بلباس الجنرال ؟

قال الثعلب :



— سآخذ هذا على عاتقي . ولكن قل لي شيئاً واحداً ، هل انت موافق لتكون جنرالاً ؟ فكر فقط ، يا متشرد : ستأكل العسل ، والسكر . وتحتسي الشراب بالجرادل ، إن شئت !

ويصيح الدب !

— هيه . . هيه . . . موافق جداً جداً .

— ممتاز . يعني ، الاشخاص كاملون — وضحك الثعلب — الدب سيكون الجنرال ، والغُرير فاسيا طالب العسكرية . وأنا سأكون زوجة الجنرال .

وهرع الثعلب الى الضيِّعة يكمل شغلته الماكرة .

٣

وقبل ان ينجلي الظلام تماماً انسل الثعلب خلال حديقة البيت الكثيفة نحو الشرفة الزجاجية ، وتوارى في أجمة قبالة الدرج تماماً . كان قفص الببغاء النحاسي يلمع في الشرفة في ضوء بدر التمام .

امسك الببغاء عوداً بمخالبه ، وانقلب ورأسه الى الاسفل ، وغرق يفكر في موطنه الحبيب .

ومن امتلاء الرأس بالدم تصوَّر الببغاء ان شمس الهند الحارة تدفئه ، والقردة تتقافز حوله على اشجار جوز الهند ، وتحت القرود تسير قطعان الكركدن الثقيلة لشرب الماء ، والطيور العجيبة مثله تصعد في الجو وتهبط في طيرانها .

وفجأة يسمع صوتاً حلواً صادراً من الاجمات :

— ببغاء يا حلو ، ببغاء يا ذكي . ألا تريد ان تكون ملكاً على حيوانات الغاب ؟

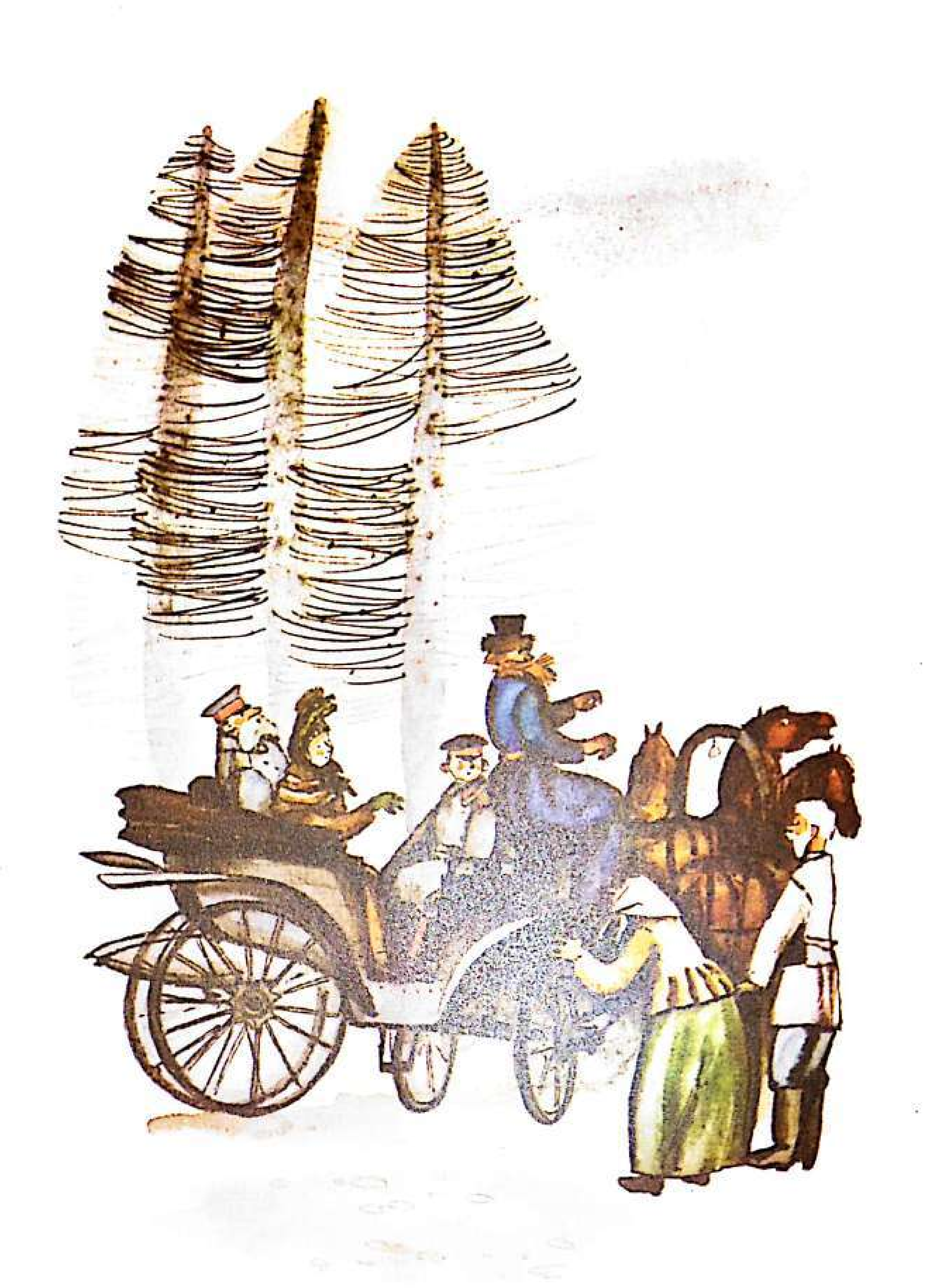
انقلب الببغاء بسرعة ، فصار رأسه الى الأعلى ، وذيله الى الاسفل ، مثل سائر الببغاوات ، واما رأسه الى جنب يتسمَّع . لا شيء . وكل ما حوله يبعث على الغم . اشجار البتولا بدلاً من اشجار جوز الهند ، وهو حبيس قفص متين ، وليس حوله من الطيور غير دجاجة وديك . اغتم الببغاء ، واسبل على عينيه جفنيه الابيضين . واذا به يسمع من الاجمات صوتاً اكثر مناغاة من الصوت الأول :

ــ ألا تريد ، يا ببغاء العزيز ، ان تكون ملكاً على حيوانات الغاب ؟
ردد الببغاء بصوت الجدة المتذمر :
ــ ما هذا ! امسحي الغبار ، ولا تتركي ذرة .
إلا أنه فتح عينيه كلتيهما ، واندهش اذ لمح في الاجمات بوز الثعلب المدبب . قال الثعلب في تزلف :
ــ يا ببغاء ! ارسلتني الوحوش رسولاً اليك . يريدون ان يدعوك ملك الغاب ، بدلاً من الأسد . انت في الكلام تشبه الانسان ، والانسان يحبس في القفص حتى الأسد .
ــ آه . . آ . . .
قال الببغاء بعظمة ، ورفع رجلاً الى الأعلى .
والثعلب يواصل كلامه بعجالة :
ــ اذن ، يا ببغاء ، حالما يخرج اهل البيت ، استقبل ممثلي حيوانات الغابة .
ردد الببغاء فجأة بصوت عال :
ــ افتح القفص ، افتح القفص !
ــ يا ليت ، يا ببغاء ، ولكن لا اجرؤ . معي سفيران اعلى مني . الغُرير والدب . وهما لا يصدقان بأنك تتكلم كما يتكلم الناس . ويحتاج الأمر في البداية أن تجعل العجوز لوكريوشكا تطيعك يومين على الأقل ، ليتأكد هذان السفيران من ان الانسان يطيع الببغاء .
نظف الببغاء منقاره ، واجال عينيه فيما حوله ، وشرع يترنم :
ــ هاتي عسلاً ، يا لوكريوشكا ، واين الزبدة ، والجبنة ؟
وصاح فجأة :
ــ بلهاء ، بلهاء ، بلهاء . . . نسيت الخبز .
ناجاه الثعلب مطلقاً ضحكة خافتة :
ــ آوه ، ما اروعك ، يا ملك الغاب ! اصدع باوامرك يومين وفي اليوم الثالث سنطلق سراحك ، ونجلسك على عرش الأسد . والآن الى اللقاء .
وولّى الثعلب هارباً .
وظل الببغاء يصدع باوامره فخوراً :

— امسحي الغبار ، ولا تتركي ذرة !
ولم يقلب رأسه الى الاسفل . فقد ظن ان ذلك لا يناسب مقامه الرفيع .
وصار يشعر بأن ظهره اكتسى بلبدة الأسد ، فراح يفرد جناحيه الاخضرين ليبدو اكبر .

٤

كان الخريف في ذروته ، وسنابل القمح قد حصدت منذ زمان ودُرِست ، وارسلت حبوبه إلى الطاحونة المجاورة . وسيقان الكتان أُقتُلعت ايضاً ، وتُرِكت تترطب في الجدول ، وبقيت فيه وقتاً طويلاً ، حتى لم تعد تخاف ان تصاب بنزلة برد ونسيت أنها في وقت من الاوقات كانت تزهر زهوراً زرقاً جميلة .
وغصت سراديب الضيعة بخيرات الخضار ؛ بالشوندر ، والبطاطس ، والجزر . وتجمعت ثمار التفاح والكمثرى على الرفوف صفوفاً ، مثل فصائل الجنود .
وسمحت السيدة لجميع الفتيات العاملات في حديقة الخضار بان يعدن الى بيوتهن ، وقد اهدتهن شرائط حمراء وزرقاء عند الوداع .
وركز فاسيا طالب العسكرية انتباهه ، ووضع راحتي يديه على اذنيه لكى لا يسمع شيئاً ، وراح يعد للدروس المكمل بها من الصباح حتى المساء . والجد يَعد القائمة بعد القائمة لما ينبغي ان يشتريه في المدينة ، والجدة ، رغم تأوهاتها ، انكبت مع لوكريوشكا على اعداد الكعك والفطائر وتحميص الديوك الرومية .
والببغاء المشغول الفكر في البعثة القادمة اليه راح يتعلم بكل ما لديه من مقدرة كيف يصدر الأوامر مقلداً صوت السيدة حين تصدر أوامرها : «لوكريوشكا ، لا تنسي الدجاج ! لوكريوشكا ، العجين مرة مأكول ، ومرة غير مقبول ، وثالثة غير معقول !»
واصاب الوجع قدمي الجد ، فلم يرغب في الخروج الى المدينة ، فكان يسير متأوها :
— آه ، مصيبة ! آه ، الخيول جموحة ، آه ، عريش العربة مكسور ، ولن نصل الى المدينة . . .
والببغاء يسمع ويردد ما يقوله : «عريش مكسور ، عريش مكسور !»
ومع ذلك لم يحدث مكروه ، ولم تقع مصيبة . قدمت العجوز لوكريوشكا ما



عندها من مدخر الطعام عند الحاجة ، ودهن السائق العجلاتِ على احسن ما يرام ، والتأمت خيول العربة الثلاثة بوئام ، وتهيأت لتنطلق الى الأمام .

وضعت الجدة المفاتيح في حلقة كبيرة من الحديد ، وخبأتها في حقيبة السفر .

وودَّع فاسيا طالب العسكرية ببغاءه ، والدموع تترقرق في عينيه ، وملأ جيوبه وزيقه بالجزر للمرة الاخيرة ، وتناول حقيبة وضع فيها الدروس المكمل بها ، وجلس حزيناً على المقعد الامامي .

ورنَّت اجراس العربة مرة واخرى ثم سكتت .

وحلَّ المساء ، وطافت العجوز لوكريوشكا حول البيت وفي يدها عصا طويلة ، وتلَّمست بها الاجمات القريبة عسى أن تجد لصاً يختبئ للوثوب . ولم تجد احداً ، واطمأن بالها . فتناولت شيئاً من حساء الغداء ، واستعدَّت لاغلاق صفاقات النوافذ .

ولم يخطر في بال العجوز ما يجري قربها من العجب العجاب . في الشرفة الزجاجية يرتفع عمود من الشعر المنفوش من الارض وحتى آخرها حيث فتحة التهوية . وهناك عند الفتحة شيء يدب دبيب الحيوان .

والناظر الغريب لا يفهم شيئاً ، ولكن الببغاء في قفصه النحاسي تعرف كل شيء . فهذا العمود المنفوش هو البعثة التي جاءت لتتوجه ملكاً . في اسفل العمود وقف الدب على رجليه وقد ضمَّ مخلبيه في ركبتيه ، وبوزه البهيج يسفر عن تكشيرة . وارتقى الغرير ظهر الدب ، وصعد الثعلب على ظهر الغرير حتى كاد يمس الفتحة . وقفز الثعلب من الفتحة الى الحجرة ، وادار المفتاح في ثقب الباب ، وانفتح الباب على مصراعيه . تفضلوا ، يا سادة ، يا كرام ! ويتلمظ الغرير ويريد ان يدخل ، كما فعل الثعلب ، ولكنه يرتجف خوفا كالسعفة . فاذا بالدب يدفعه بمخلبه دفعة عظيمة جلعتهما كليهما يطيران ويهبطان بسلامة الى ارض الحجرة .

اما الثعلب فارتدى رداء السيدة ، ووقف يتمرى امام المرآة ، يخفي اذنيه في مخرمات المنديل .

والدجاجات من مجاثمها ترى ، وتضحك منه : آوه ، يحسب نفسه حضرة السيدة !

والدب أيضاً ادخل نفسه في ثياب البشر بصعوبة ، ولعلع بصوته لضيقها عليه وعدم ارتياحه منها . ولكن الغرير وجد متعة في مدّ ذراعيه وادخال رأسه في ثوب فاسيا الأبيض ، وارتاح لحزام فاسيا ذي الطرة ، حين شده على نفسه ، فطلع

طالب عسكرية من صحيح . واخذ الثعلب المكوى ، وكوّى ذيلي صاحبيه .

ثم تناول الثعلب جرساً صغيراً ، وراح يدق به دقاً خفيفاً في بادئ الأمر ، ثم دقاً اعلى فأعلى : دين — دين — ديدين !

سدّت العجوز لوكريوشكا اذنيها الثقيلتي السمع بيديها سداً محكماً مرددة في سرها : «جرس العربة ، على ما يبدو ! يعنى السادة عائدون ، هل حصلت مصيبة لهم لا قدّر الله ! . .

وسواء احصلت ام لم تحصل ، فان لوكريوشكا تعرف شيئاً واحداً في هذا الظرف : ما داموا عائدين وجب تحضير السماور على المائدة ، لأن شرب الشاي حلّت ساعته .

وما ان تدخل لوكريوشكا الحجرة ، حتى تجد السيد والسيدة وطالب العسكرية قادمين نحوها .

وفجأة يهدر السيد بصوت الدب :

— هى . . . هى ! . .

وتهمس العجوز متراجعة : اللهم غفرانك !

والثعلب حيوان ماكر . امسك قفص الببغاء في يديه ، ومدّ اظفاره بين القضبان . فالببغاء نسي التكريم ، نسي البعثة ، وأحس برائحة وحش مفترس ، زعق آخر ما علق بذاكرته : «العريش مكسور ، العريش مكسور !»

فتقول العجوز فرحاً :

— نحمد الله على بقائكم سالمين .

وتسرع في وضع كل ما ينبغي على المائدة من كعك وما تبقى من فطائر .

استرد الببغاء طبيعته ، فصرخ مقلداً صوت فاسيا :

— مُر . . ربى !

وتبختر في القفص بكبرياء .

ولم يعد يخاف ان يلتهمه الثعلب ، كما يلتهم طائراً اعتيادياً ، فهو يعرف جيداً أن الثعلب والغرير والدب موفدون من الغابة ، ليتوجوه ملكاً . ولهذا لبسوا ثياب السادة ، ليعيشوا ردحاً من الوقت في البيت ، ويروا كيف يصدر الأوامر للانسان .

ويقول الببغاء بصوت حضرة الجنرال :

— لوكريوشكا ، الشراب .

فتسرع هذه العجوز متعثرة ، وتضع الزجاجة امام الدب .

— تفضل ، ياسيدي ، ياصاحب المعالي .

غطت لوكريوشكا المائدة بكل ما لذ وطاب وانصرفت . راح الوحوش يلتهمون الطعام بنهمهم الحيواني . صب الدب علبة المربى في فمه ، ولم ينزعها منه الا بعد ان رأى قعرها الفارغ . ولطخ الغرير بوزه بطبقة كثيفة من القشطة ، بل ولم تبق بقعة سوداء من جسمه لم تلطخ ، فكأنه فأر سقط في كيس طحين ، وباليته شبع واكتفى . والخلاصة فرغت المائدة من كل ما عليها في لمحة عين .

ويهمس الثعلب :

— ببغاء ، اصدر اوامرك ! البعثة تشكك فيك .

يميل الببغاء رأسه جانباً ، ويأمر :

— هاتي عسلاً ، يا لوكريوشكا ، وزبدة وجبنة . . .

وتجلب لوكريوشكا ما أُمرت به ، وهي لا تفتأ تردد في سرها : «كل هذا من الرعب ، الذي كان السادة يعانونه ، الرعب يأكل منكم ما تأكلون . بالعافية !»

وتجلب لوكريوشكا ، وتجلب ، والسادة يلتهمون ما تأتي به ، ويعطونها الصحون الفارغة .

وسقط صحن من يدها ، فانحنت لتجمع الحطام ، وزعقت بصوت غير صوتها ، وهرعت الى المطبخ . ذلك لأن الدب لم يضع رجليه في الحذاء ، دسها ومدَّ رجله المشعرة ، فوقعت يدا العجوز على رجله هذه اثناء جمعها للحطام ، وفرَّت الى المطبخ من الخوف .

ولطيف أن الثعلب سحب الببغاء من ذيله . فاستشاط الببغاء غضباً ، وراح يزعق : «حمقاء ، حمقاء ، حمقاء . . .»

سمعت العجوز «حمقاء» فعاد اليها رشدها ، وصفت افكارها . ففكرت مع نفسها : «ما هذا الذى تراءى لي ، الله يعلم . لا بد أن السيد كان يلبس حذاءه الاجنبي .»

جمعت العجوز كل الصحون ، واضطجعت لتنام ، وهي لا تدرى أنها بخوفها اخافت الوحوش كثيراً ، فاختبأت وراء الحاجز ترتعش من الخوف ، فماذا لو صاحت العجوز تطلب الخفير ؟ اذن ، لتراكض الرجال منهم مَنْ يحمل بندقية ، ومنهم هراوة ، فلا يبقون لبعثة الحيوانات جلداً على عظم .

لم يسمح الدب والغرير للثعلب ان يشعل الضوء ، رغم ان الثعلب كان يؤكد لهما أن الناس لا يرون شيئا من ناحية الفناء لنزول الصفاقات على النوافذ ، وحالما اظلمت الدنيا حتى خلعت الحيوانات ثيابها ، ووضعتها على مقعد وراء الباب لتنظف ، فقد قال الثعلب لصديقيه ان هذا ما يفعل الناس عادة .

تصبب الدب عرقاً ، وهو يصفف ثيابه ببراثنه السميكة ، وراح يشتم الثعلب ونفسه في سره عشرين مرة على خروجه من الغابة .

وحين خلعت الحيوانات ثيابها ، وضعت البارافان جنب السرير تماماً ، واغلقت باب الدخول بالمفتاح ، حتى لا تدخل العجوز بالمصادفة . وتغطت بالالحفة حتى رؤوسها .

في الصباح كان الثعلب اول مَنْ قفز من السرير ، ولبس الرداء الطويل ، واخفى اذنيه تحت المخرمات ، وانطلق الى غرفة الطعام . انزل الستارة حتى لا ترى العجوز ابواز الحيوانات في الضوء الخافت . وعبثاً ما فعل ، فلو أن العجوز لاحظت شيئاً غريباً تحت منديل السيدة ، لكانت هي اول مَنْ كذبَّت نفسها .

ومرة اخرى اكلت الحيوانات وشربت كثيراً ، وجمعت اكثر من ذلك في صرر مطبقة ما علمها الثعلب ، حين قال : «لننقل كل المؤنة الى الغابة شيئاً فشيئاً» .

وصارت اكثر جرأة ، فاخذت تنشغل بهندامها . نبش الدب كل ربطات العنق ، ولكنها كانت تتقطع في براثنه ، فلم يفلح في شد ربطة . واخيراً اخرج فوطة نظيفة وشدها حول عنقه .

وجرَّب الثعلب كل علب المساحيق وقوارير العطور ، ورش بها ذيله حتى صار يقطر . اما الغُرير فشد في رقبته ساعة بسلسلة . وانشغل بها عن الاكل والشرب ، وراح يفرد قائمتيه ، وينصت الى تكتكة الساعة : تيك — تيك — تيك .

وجد الدب نظارة السيد ، فلبسها خلف اذنيه ، وتناول مطحنة قهوة قديمة ، وجلس على مقعد وثير في وضع مريح . . . وهات ياطحن .

راح الدب يدير المطحنة ويدير ، وهو يظن انه يقوم بأهم عمل للجنرالات . واتخذ لنفسه سيماء العظمة ، حتى ان الغرير ، حالما وقف وراء مقعده ماشياً على اطراف اصابعه ، حتى جمد هناك بلا حراك .

وفكَّر الثعلب في أن يمضي في تجريب لوازم السيدة الى الآخر ، وأمر العجوز

لوكريوشكا عن طريق الببغاء بأن تهيء له الحمام . وهو يقول لنفسه : «بعد الحمام سيكون شعري انعم والطف» .

وبينما كانت العجوز تخلط الماء الحار بالماء البارد اسرع الثعلب في اخراج كل الاشياء من الاجرار .

فاختار لنفسه مخرمات وعقداً لتحلية الشعر ، وللغُرير حزام فاسيا الأحمر ، بينما جلب الدب بنفسه طاحونته والنظارة ، وقال :

ـــ اليوم طحنت ما فيه الكفاية . وغداً ساطحن في الغابة . ضجرت من هنا . لا اجأر ولا ازأر ، اخاف من كل شيء .

فيوافقه الثعلب قائلاً :

ـــ طيب ، طيب ، ابو فهد ـــ اليوم مساء سنغادر ، فقط امهلني لآخذ حماماً . صوبن لي ظهري ، والغرير سيمشط ذيلي .

كان الثعلب يعرف جيداً ان سادة البيت الحقيقيين لا بد عائدون اليوم او غداً ، وللاحتياط أمر الغرير بأن يجلب الصرر الى الحمام :

ـــ وحالما يحصل شيء ، سنخرج مع الصرر من الشباك .

وينبطح الثعلب في حوض الحمام يتبخر ويتهافت من الحر ، حتى كان النعاس يطوف بعينيه . وتحت بوزه وسادة صغيرة . واخذ الدب ربطات عنق الجنرال ، وربطها ومدها على عرض الحمام ووضع عليها المخدة .

وها هو ذيل الثعلب قد غسل من المساحيق ، واخرجه الثعلب من الحوض ، ونشّفه الغرير ، وصار يمشط له بالمشط . وتناول الدب منشفة موَّبرة ، وبسط ذراعيه بها . يعني ، تفضل ، يا ثعلب ، اخرج .

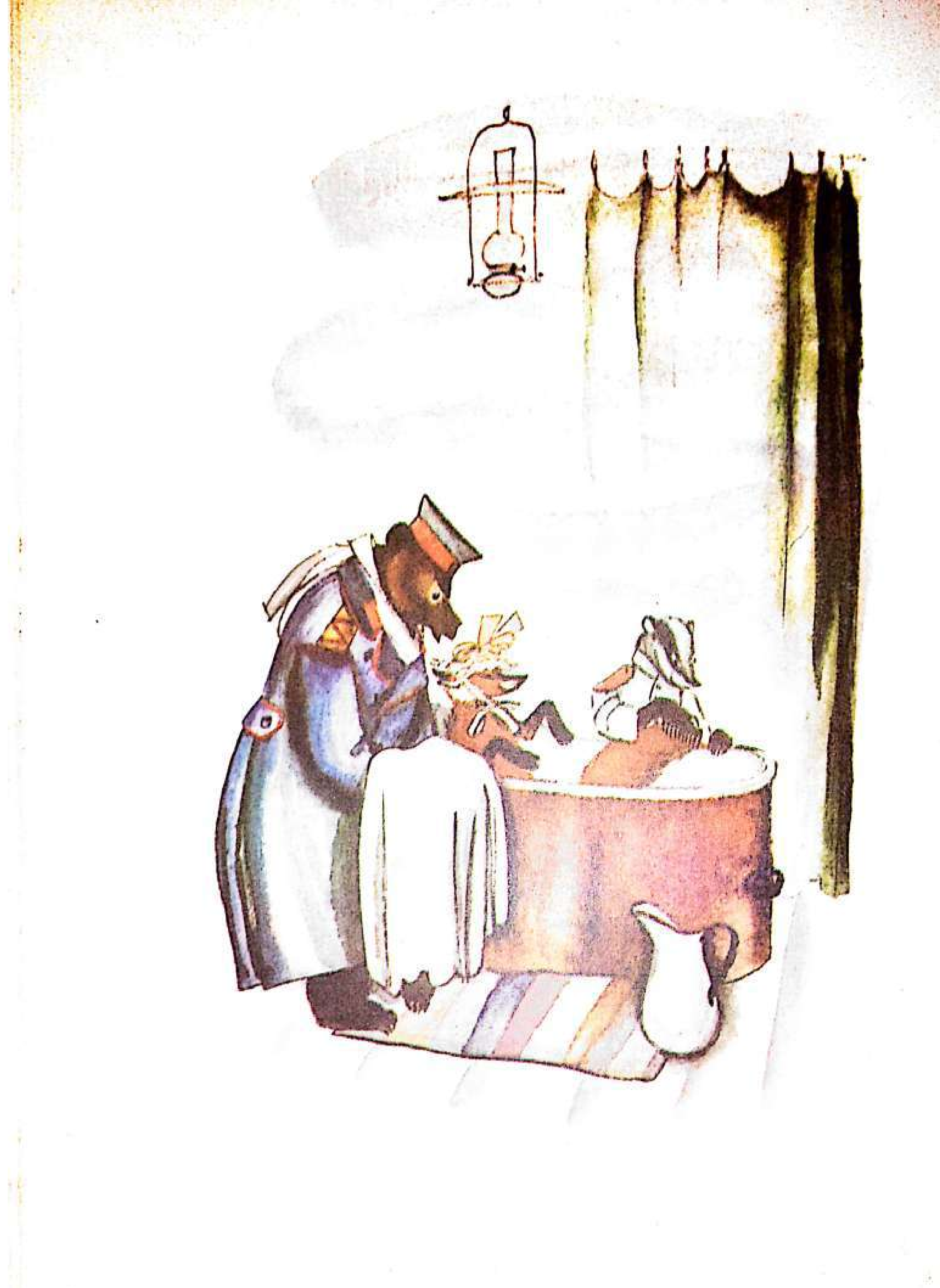
ويمتدح الثعلب الحمام قائلاً :

ـــ آه ، عظامي في نعيم ! كأنني تحت شمس الصيف . لحظة أخرى يا ابو فهد ، لحظة . . . لحظة . . .

وغفا الثعلب في نوم لذيذ لا احلام فيه . والدب يشفق عليه فلا يوقظه ، فهو واقف والمنشفة في يده ، ويتثاءب ، يود لو يدير الطاحونة مرة اخرى . ويقول في سره : «اصبحت جنرالاً بسرعة فائقة» .

والغرير لا يفكر في شيء ، ويقعد على المسطبة ، يمشط ذيل الثعلب .

وهؤلاء الثلاثة لا يحسون بالعربة تدخل بسرعة من البوابة دون ان يرن لها جرس .



فقد ضجرت السيدة من رنين الاجراس في الطريق ، فأمرت برفعها وشدها . اخطأ الثعلب الحساب بيوم واحد ، اذ سرعان ما قضى السادة اشغالهم في المدينة ، وعادوا .

ولما دنوا استغربوا حين سألتهم لوكريوشكا :

ــ مَنْ أنتم لابلغ اهل البيت عنكم ؟

فهل كانت العجوز سكرى أم خفَّ عقلها ؟ صاحت بها السيدة :

ــ عجوز حمقاء !

وردد الببغاء :

ــ عجوز حمقاء !

ودخلوا الحجرات . واذا بكل شيء مقلوب ، وفي بوق الحاكى تبرز عظام قديمة ، والابسطة ملَّوثة . والهواء عفن الرائحة لا تستطيع ان تحتمله دون ان تسد انفك .

فتحت زوجة الجنرال باب الحمام ، وتراجعت . وسقطت مغشياً عليها . نظر الجنرال ايضا الى داخل الحمام ، وصاح :

ــ هاي ، يا جندرمة ، يا شرطة !

ولكن الدب كشَّر له عن انيابه . فاذا بالجنرال يمسك رأسه بيديه ، ويسقط جنب زوجته .

افاق الثعلب على نفسه مبللاً كما كان ، فاصدر امره من الحمام :

ــ خذوا الصرر ، وهيَّا !

وقف الدب تحت النافذة ، وصعد الغرير على كتفيه ، وصعد الثعلب فوقه . وفتح النافذة ، وطلع هو ، ثم الغرير ، وبعدهما الدب . والقوا الصرر على الاكتاف ، وولوا الادبار .

افاق الجنرال وزوجته من الغيبوبة ، وينظران فيجدان الحمام فارغاً . وتقول الزوجة :

ــ اسمع ، لا تتجاسر ، وتقول لأحد : الحيوانات حلت محلنا في بيتنا . فان ذلك لم يحصل لأحد قبلنا ، ولهذا فهو غير لائق . فسيضحك الناس منا .

١٩١٤





فالنتين كاتايف

الزهرة ذات الالوان السبعة

كان ياما كان كانت فتاة تدعى جينيا . ذات مرة ارسلتها أمها الى الحانوت لشراء الكعك المدوّر . فاشترت جينيا سبع كعكات مدورات : اثنتان منها بالسمسم لأبيها ، واثنتان منها بالزعتر لأمها ، واثنتان بالسكر لنفسها ، وكعكة وردية صغيرة لاخيها بافليك . اخذت جينيا ربطة الكعك ، وتوجهت الى البيت . وتسير جينيا متلكئة تتلفت على الجانبين ، وتقرأ اللافتات ، وتعد الغربان . وفي غضون ذلك لاحقها كلب غريب ، والتهم الكعكات واحدة بعد الأخرى . في البداية أكل الكعكتين بالسمسم للأب ، ثم بالزعتر للأم ، ثم بالسكر لجينيا . وشعرت جينيا أن الكعكات اصبحت خفيفة للغاية ، فالتفت ، ولكن بعد فوات الاوان . كان حبل الليف يتأرجح فارغاً ، والكلب يقضي على كعكة بافليك الوردية الاخيرة ، ويتلمظ .

— آه ، يا لك من كلب مؤذ !

صاحت جينيا ، وانطلقت تلاحقه .

صارت تركض وتركض ، ولم تلحق بالكلب ، بل تاهت واضلّت طريقها . وتلفت فترى نفسها في مكان غريب عليها تماماً . انتهت العمارات الكبيرة ، وجاءت بيوت صغيرة . ارتعبت جينيا وشرعت تبكي . وفجأة ظهرت عجوز من لا مكان ، وكأن الارض انشقت عنها .

— يا صبية ، يا صبية ، لماذا تبكين ؟

فقصت جينيا على العجوز كل شيء .

اشفقت العجوز على جينيا ، واخذتها الى حديقتها الصغيرة ، وقالت :

— لا بأس ، لا تبكي . وسأساعدك . حقاً ليس عندي كعك مدور ، ولا نقود ، ولكن في حديقتي الصغيرة زهرة تدعى «الزهرة ذات الالوان السبعة» قادرة على كل شيء . أنا اعرف انك فتاة لطيفة ، رغم أنك تحبين التلكؤ . وسأهدي لك الزهرة ، وستدبر لك كل شيء .

وبعد هذا الكلام قطفت العجوز من حوض الزهور زهرة صغيرة جميلة جداً تشبه زهرة البابونج ، وقدمتها الى جينيا . كانت للزهرة سبع وريقات رقيقة ، لكل ورقة لون : صفراء ، وحمراء ، وخضراء ، وزرقاء ، وبرتقالية ، وبنفسجية ، وفيروزية .

قالت العجوز :

— هذه الزهرة ليست عادية . فهي تستطيع ان تلبي كل ما تريدين . وما عليك لتحقيق ذلك الا ان تقطعي وريقة ، وتطلقيها و تقولي :

طيرى طيرى في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما اريد .

واؤمريها بان تفعل هذا او ذلك . ستقوم بذلك بلمح البصر .

شكرتها جينيا بأدب ، وخرجت من باب الحديقة ، وفي تلك اللحظة فقط تذكرت أنها لا تعرف الطريق الى بيتها . ارادت ان تعود الى الحديقة ، وترجو العجوز ان تقودها الى اقرب رجل ميليشيا . ولكن الحديقة والعجوز كأنهما فص ملح وذاب . فما العمل ؟ همَّت جينيا ان تبكي ، على عادتها ، بل



نشقت من انفها عدة مرات ، ولكنها تذكرت الزهرة العجيبة . وقالت لنفسها :
— طيب ، لنر ما هي هذه الزهرة ذات الالوان السبعة !
واسرعت جينيا فانتزعت الوريقة ·الصفراء ، ورمتها وقالت :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت ان تكون في بيتها ومعها الكعكات !
وما كادت تقول ذلك حتى وجدت نفسها في بيتها ، ومعها ربطة الكعكات !
اعطت جينيا الكعكات لأمها ، وفكرت هي مع نفسها : «انها زهرة رائعة حقاً ، ويجب وضعها في اجمل مزهرية حتماً» .
كانت جينيا صبية صغيرة جداً ، ولهذا صعدت على مقعد ، لتنزل المزهرية المفضلة عند أمها ، والتي كانت في الرف الاعلى . ومنُ سوء الحظ أن مرت غربان في تلك اللحظة خلف النافذة ، وطبيعي أن جينيا احبت ان تعرف حالا بالتأكيد كم عددها ، سبعة ام ثمانية ؟ فتحت فمها ، وشرعت تعد ، طاوية اصابعها ، فافلتت المزهرية ووقعت متحطمة الى شظايا صغيرة .
صاحت أمها من المطبخ :
— مرة اخرى حطمت شيئاً ، يا طوره ، يا ما طوره ! لعلها احب مزهرية اليَّ ؟
— لا ، لا ، ماما ، لم احطم شيئاً . توهمت في السمع ، يا ماما !
صاحت جينيا ، واسرعت في قطع الوريقة الحمراء ، ورمتها ، وهمست :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما - اريد .

وطلبت ان تسرع فتعيد مزهرية أمها سليمة !
وما كادت تقول ذلك حتى زحفت الشظايا من تلقاء نفسها ، واخذت تلتحم .

نشقت من انفها عدة مرات ، ولكنها تذكرت الزهرة العجيبة . وقالت لنفسها :

— طيب ، لنر ما هي هذه الزهرة ذات الالوان السبعة !

واسرعت جينيا فانتزعت الوريقة الصفراء ، ورمتها وقالت :

طيري ، طيرى في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت ان تكون في بيتها ومعها الكعكات !

وما كادت تقول ذلك حتى وجدت نفسها في بيتها ، ومعها ربطة الكعكات !

اعطت جينيا الكعكات لأمها ، وفكرت هي مع نفسها : «انها زهرة رائعة حقاً ، ويجب وضعها في اجمل مزهرية حتما» .

كانت جينيا صبية صغيرة جداً ، ولهذا صعدت على مقعد ، لتنزل المزهرية المفضلة عند أمها ، والتي كانت في الرف الاعلى . ومن سوء الحظ أن مرت غربان في تلك اللحظة خلف النافذة ، وطبيعي أن جينيا احبت ان تعرف حالا بالتأكيد كم عددها ، سبعة ام ثمانية ؟ فتحت فمها ، وشرعت تعد ، طاوية اصابعها ، فافلتت المزهرية ووقعت متحطمة الى شظايا صغيرة .

صاحت أمها من المطبخ :

— مرة اخرى حطمت شيئاً ، يا طوره ، يا ما طوره ! لعلها احب مزهرية اليَّ ؟

— لا ، لا ، ماما ، لم احطم شيئاً . توهمت في السمع ، يا ماما !

صاحت جينيا ، واسرعت في قطع الوريقة الحمراء ، ورمتها ، وهمست :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما اريد .

وطلبت ان تسرع فتعيد مزهرية أمها سليمة !

وما كادت تقول ذلك حتى زحفت الشظايا من تلقاء نفسها ، واخذت تلتحم .

جاءت ماما من المطبخ راكضة ، فاذا بها تجد مزهريتها المفضلة في مكانها سليمة ، وكأن شيئاً لم يحدث لها . واحتياطاً توعَّدت ماما جينيا بأصبعها ، وارسلتها تتمشى في الفناء .

طلعت جينيا الى الفناء ، فرأت الأولاد يمثلون حملة بابانين الى القطب الشمالي ، وقد جلسوا على ألواح قديمة ، وغرزوا عصا في الرمل ، دلالة على أنهم في القطب .

— يا اولاد ، يا اولاد ، خذوني معكم ألعب !

— انظروا ماذا تطلب ! ألا ترين اننا في القطب الشمالي ؟ نحن لا نأخذ الصغيرات الى القطب .

— واى قطب هو ؟ مجرد ألواح .

— ليست الواحاً ، بل قطع جليدية . ابتعدي ، ولا تعرقلينا ! قطعتنا الجليدية على وشك ان تتشقق الآن !

— اذن ، لا تقبلونني ؟

— لا نقبلك ، ابتعدي !

— لست بحاجة اليكم . بدونكم سأكون في القطب الشمالي حالاً . ولكن ليس مثل قطبكم ، بل في قطب حقيقي . ولكم ذيل القط !

انتحت جينيا جانباً ، وتوقفت عند باب الفناء ، واخرجت الزهرة المحروزة ذات الالوان السبعة ، وانتزعت الوريقة الزرقاء ، وألقتها ، وقالت :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليَّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت ان تكون في القطب الشمالي حالاً !

وما كادت تقول ذلك ، حتى هبت الزوابع ، وهبطت الشمس الى الافق ، وحلَّ الليل الرهيب ، وراحت الارض تدور بسرعة كبيرة .

واذا بجينيا ، وهي في ثوبها الصيفي ، عارية القدمين ، تجد نفسها وحيدة في القطب الشمالي ، ودرجة البرودة هناك مائة درجة تحت الصفر !

— اوى ، ماما ، أتجمد !



صاحت جينيا ، واخذت تبكي ، ولكن دموعها كانت تتجمد خيوطاً على الفور ، وتتعلق في اهدابها ، وتتدلى من انفها .

وخلال ذلك خرج من وراء تلة جليدية سبعة دببة بيضاء ، واتجهت نحو الفتاة قدماً ، واحدها افظع من الآخر . الأول عصبي ، والثاني غضوب ، والثالث معمم ، والرابع محكوك ، والخامس مدعوك ، والسادس منمش ، والسابع اكبرهم كلهم .

اختطفت جينيا الزهرة ذات الالوان السبعة باصابع متجمدة ، ودون ان تعي من الخوف ، وانتزعت الوريقة الخضراء ، ورمتها ، وصاحت بكل ما لها من قوة :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وان عدتِ اليّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت ان تعاد الى فنائها حالاً !

وفي تلك اللحظة وجدت نفسها في الفناء . والاولاد ينظرون اليها ، ويضحكون .

— ها ، اين قطبك الشمالي ؟

— كنت هناك .

— لم نرك . اثبتي ذلك !

— انظروا ، يتدلى مني خيط من الجمد .

— هذا ليس خيطاً من جمد ، بل ذيل قطة ! ما هذا الذي تتخيلينه ؟

زعلت جينيا ، وعزمت ألا تلعب مع الاولاد بعد الآن ، وذهبت الى فناء آخر لتلعب مع البنات . ورأت لديهن لعباً مختلفة . واحدة عندها عربة ، وأخرى كرة ، وثالثة حبل قفز ، ورابعة دراجة من ثلاث عجلات ، وعند واحدة منهن دمية كبيرة ناطقة لها قبعة قش صغيرة ، وحذاء صغير . واغتمت جينيا ، بل ان عينيها من الحسد صارتا صفراوين كعيني العنزة .

وتفكر مع نفسها : «طيب ، سأريكن الآن اينا اكثر لعباً !»

واخرجت الزهرة ذات الالوان السبعة ، وانتزعت الوريقة البرتقالية ، والقتها وقالت :

طيري ، طيري في البعيد
حولَ الارض من جديد
وانْ عدتِ اليّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت أن تكون لديها كل ما في الدنيا من لُعَب !

وفي تلك اللحظة تهاوت اللعب على جينيا من كل حدب وصوب . بالطبع ، جاءت الدمى أولا ، وهي ترمش بعيونها ، وتوصوص باستمرار «بابا ، ماما» ، «بابا ، ماما» . في البداية فرحت جينيا كثيراً ، ولكن الدمى كانت من الكثرة بحيث ملأت على الفور الفناء كله ، والزقاق ، وشارعين ، ونصف الساحة . وكان من المستحيل ان تُخطى خُطوة دون ان تقع على دُمية . وارتفع لغط الدمى ، فلم يُسمع شيء غيره . تصوَّروا ايَّ ضجة يمكن ان تثيرها خمسة ملايين دمية ناطقة ؟ كان عدد الدمى لا يقل عن ذلك قط . وهذه دمى موسكو وحدها . اما دمى لينينغراد او خاركوف ، وكييف ، ولفوف ، والمدن السوفييتية الاخرى فما زالت في الطريق وتبغبغ كالببغاوات في طرق الاتحاد السوفييتي كلها . وذعرت جينيا قليلاً . ولكن هذا لم يكن الا البداية . ووراء الدمى ، سارت من تلقاء نفسها الكرات والآليات المتحركة ، والدراجات ذوات العجلات الثلاث ، والجرارات ، والسيارات . . . اما حبال النط ، فكانت تزحف على الأرض كالحيات ، وتتشربك تحت الاقدام وتجعل الدمى العصبية توصوص اعلى من المعتاد . وفي الجو كانت تطير ملايين الطائرات اللُعب والبالونات والطائرات الشراعية ، وتتناثر من السماء ، كالخزامى ، المظليون من الدُمى القطنية ، وتعلقوا على اسلاك التلغراف والاشجار . وتوقفت الحركة في المدينة . وصعد رجال الميليشيا الخفر على المصابيح ، ولم يعرفوا ماذا يفعلون .

ــ كفاية ! كفاية ! ــ صاحت جينيا في ذعر ، ممسكة رأسها ــ يكفي ! ما هذا منكم ، ما هذا ؟ لست بحاجة مطلقاً الى هذه الكثرة من اللعب . كنت امزح . واخشى . . .

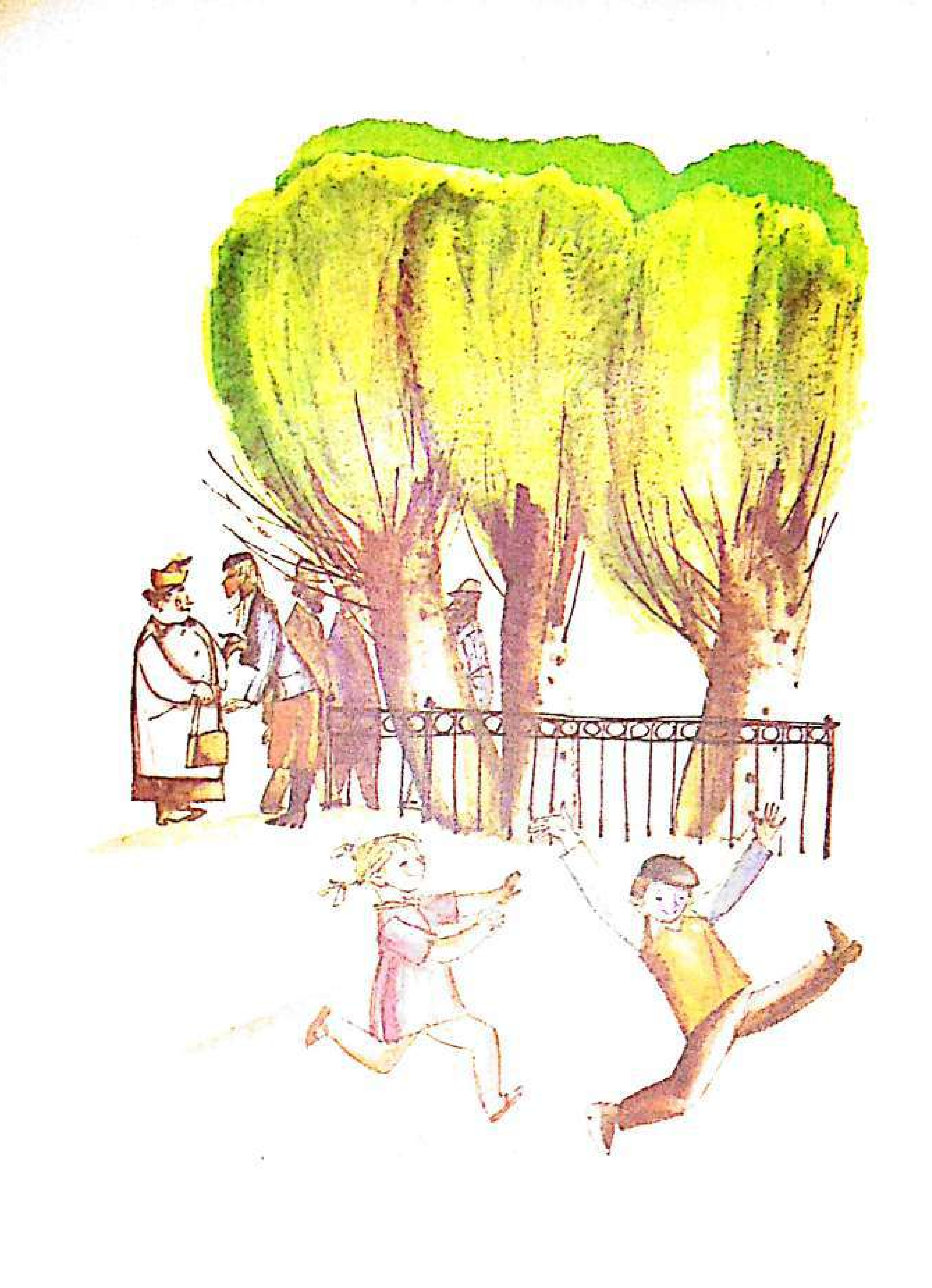
ولكن دون جدوى ! فقد ظلت اللعب تنهمر وتنهمر . انتهت اللعب السوفييتية ، وبدأت اللعب الامريكية .

وصارت المدينة كلها غاصة باللعب الى السطوح .

صعدت جينيا السلم ، واللعب في إثرها ، وخرجت الى الشرفة ، واللعب تلاحقها. صعدت الى العُلَّية ، واللُعب تسير وراءها . وخرجت الى السطح ، واسرعت فانتزعت الوريقة البنفسجية ، والقتها ، وقالت بسرعة :

طيري ، طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وانْ عدتِ اليّ
اطلب منك ما اريد .

وطلبت ان تعجل اللعب بالعودة الى مخازنها !
واختفت اللعب كلها بلمح البصر .
نظرت جينيا الى زهرتها ، فرأت وريقة واحدة باقية .
ــ هكذا اذن ! يظهر انني ضيعت ست وريقات ، دون ان احصل على متعة . ولكن لا بأس ، في المستقبل سأكون اذكى .
سارت في الشارع . وتفكر :
«ترُى ، ماذا اطلب بعد ؟ اظنني سأطلب كيلوغرامين من «ابو الدب» . لا ، الأفضل كيلوغرامين من الملبَّس ، او لا . . . الافضل ان افعل كالآتى : نصف كيلو «ابو الدب» ونصف كيلو من الملبَّس ومائة غرام من الحلوى ، ومائة غرام من الجوز ، وكعكة وردية لبافليك في كل الاحوال . ولكن ما الفائدة ؟ لنفرض انني طلبت كل ذلك ، وأكلته . عندئذ لا يبقى شيء . لا ، الافضل ان اطلب لى دراجة من ثلاث عجلات . ولكن لأي شيء ؟ سأركبها ، ثم ماذا ؟ والمصيبة ان الاولاد سيأخذونها مني . وربما يضربونني ايضاً ! لا ، الافضل ان اطلب تذكرة لي في السينما او في السيرك . هناك مرح وفرح على كل حال . أو ربما اطلب صندالاً جديداً لي ؟ لا يقل عن السيرك في المتعة ، ولــو اي نفع في صندال جديد ؟ ربما اطلب شيئاً احسن بكثير . المهم لا حاجة للاستعجال» .
وبينما كانت جينيا تسير ، وهذه الافكار تتوارد على ذهنها ، رأت ولداً لطيفاً يجلس على مسطبة قرب بوابة . كانت له عينان زرقاوان وسيعتان ، مرحتان ، ولكن وديعتين في الوقت ذاته .



كان الولد جذّاباً جداً — من اول نظرة تعرف انه ليس مشاكساً — فرغبت جينيا في ان تتعارف معه .

تقدمت الفتاة منه دون اي خوف ، واقتربت بشدة حتى رأت بوضوح في كل حدقة من حدقتيه وجهها ذا الضفيرتين المسبلتين على الكتفين .

— يا ولد ، يا ولد ، ما اسمك ؟

— فيتيا ، واسمك ؟

— جينيا . تعال نلعب الحنجلة .

— لا اقدر . أنا اعرج .

رأت جينيا قدمه في حذاء ضخم له نعل سميك جداً .

قالت جينيا :

— مع الاسف ! انت اعجبتني جداً ، وكنت سأركض معك بكل سرور .

— وانت ايضاً اعجبتني جداً . وكنت سأركض معك بكل سرور ايضاً . ولكن ذلك مستحيل ، مع الأسف . مدى العمر ، ولا حيلة في اليد .

— ما هذا الكلام الفارغ ، يا ولد ! — هتفت جينيا ، واخرجت من جيبها الزهرة ذات الالوان السبعة ، وقالت — انظر !

وانتزعت الوريقة الاخيرة ، الفيروزية ، بحذر ، ولصقتها بعينيها لحظة ، ثم فكت اصابعها ، وترنّمت بصوت نحيل راعش من فرط السعادة :

طيري . طيري في البعيد
حول الارض من جديد
وانْ عدتِ اليّ
اطلب منك ما أريد .

وطلبت أن يشفى الولد من عرجه !

وبلمح البصر قفز الصبي من المسطبة ، واخذ يلعب مع جينيا الحنجلة ، وراح يركض بسرعة كبيرة حتى ان جينيا لم تلحق به مهما حاولت .

١٩٤٠



بوريس زاهودر

السرطان والزهرة

١

في قديم الزمان كان سرطان صغير يعيش في البحر الازرق عيشة لا تروق له كثيراً ، حتى أنه لم يكن يفهم لماذا سمّي البحر بالازرق ، بينما كان يبدو له ،مادياً كلياً ، وليست فيه ذرة من الزرقة .

— ولكن ما اعجب هذا !

فالبحر كان ازرق للغاية في الواقع ، والحياة فيه مرح ومتعة ! وحتى الاسماك فيه (الناس في الماضي فقط كانوا يتصورونها لا تعرف الكلام !) حتى الاسماك نظمت اغنية مرحة عن متعة العيشة في البحر :

لامرح لا احلى
من السمك في الماء
لا الناس
لا الوحوش

لا الظباء
لا الطير في السماء
لا امرح لا احلى
من السمك في الماء

وكانت تغنيها من الصباح حتى الليل . ونجوم البحر تتألق ألقها العظيم ، وحتى الدلافين الحكيمة تلعب وتمرح كالاطفال ، اما ذلك السرطان المسكين فكان يقعد منزوياً في شق ، ويحزن ويتألم .

بينما كان له كل ما للسرطان الحقيقي لينعم بالسعادة الكاملة . عشر ارجل ، وعينان جاحظتان ، وشاربان طويلان مطولان ، وملاقط جبارة . ولكن لم تكن له قشرة ، فقد كان بدنه طرياً جداً . . . ولربما لهذا كل مَنْ كانت له قوقعة ، وآخرون كثيرون كانوا يكدرونه ، ويعتدون عليه ، ويعضونه ، بل ويحاولون ان يأكلوه . . .

فكان يغني اغنية حزينة جداً :

البحر كون واسع
والماء فيه غزير
فليت ان الخير
كالماء فيه كثير

وذات مرة قال له العم ابو جلمبو ، وهو من اقربائه البعيدين ، يسير بمشيته الجانبية دائماً :

ـــ اصل البلاء أنك لا تملك العزيمة الكافية . في زماننا لا يجوز ان تكون طرى الجسم بهذا الشكل .

وللبرهنة على ذلك خمش السرطان المسكين خمشة مؤلمة . فصاح السرطان :

ـــ آخ . اوجعتني .

فقال له العم ابو جلمبو وهو مرتاح جداً :

ـــ هذا لفائدتك . والأمر لا يخصني بالطبع . ولكن لو كنت في مكانك لحصلت لنفسي على قشرة محترمة .

وانصرف ابو جلمبو مسرعاً بمشيته الجانبية . كانت للناسك ملاقط قوية ، مثل أي سرطان حقيقي ، وربما ، اقوى .

اعذروني ، نسيت ان اقول لكم ان السرطان كان يلقب بالناسك ، لأنه ، كما تعرفون ، يختبيء دائماً في الكهوف ، والمغاور ، وتحت الحجارة ، ليخفف من الأذية عليه .

وحصان البحر هو أول مَنْ سمَّى السرطان بالناسك . وهذا السمك مشهور بسخريته . فالتقطت منه الاسماك الببغاوات (توجد مثل هذه في البحر !) وسرعان ما شاع هذا اللقب في البحر الازرق كله ، وحتى في البر لم يعد أحد يسمى السرطان الا بالسرطان الناسك .

عندما خفَّ ألم الخمشة على الناسك فكر هذا في سره :

ـــ الخمشة لا بأس بها ، وكذلك النصيحة . حقاً يجدر بي أن افكر في ذلك جيداً .

وهكذا فان الناسك لم يكن يحزن ويتألم فقط ، بل ويفكر ايضاً . ومعنى ذلك انه كان سرطاناً حاد الذكاء !

وكان فيما حوله عدد كبير جداً من القواقع . وبعد أن أمعن التفكير استقر رأيه على أن «افضل مكان للسرطان هو قوقعة بالتأكيد ، وافضل نزيل للقوقعة هو سرطان دون شك . وحين يدخل السرطان في قوقعة لا يؤذيه أحد . والا فأنا لا افهم في شيء البتة !»

وطرق اول قوقعة صادفته ، وحاول ان يشرح لمن فيها كل شـــيء ، ولكن الرخويات هناك غضبت ولم تدعه يكمل حديثه وقالت وهي تطل من قوقعتها :

ـــ سخافة من جنابك ! نحن مشغولون !

وسدَّت الباب في وجهه بقوة .

ودقَّ الناسك قوقعة أخرى ، وتابع قوله :

ـــ القوقعة افضل مكان للسرطان .

ولكن ساكن القوقعة نظر اليه غاضباً ، وقال :

ـــ سخافة من جنابك !

وصفق الباب في وجهه ايضاً .

وحين دق في القوقعة الثالثة لم يجبه أحد ، لان القوقعة كانت فارغة . وفرح السرطان فرحاً عظيماً ، فقد وجد أنها المكان المناسب له جداً جداً . فهي

قوقعة ليست بالكبيرة جداً ، ولا بالصغيرة جداً ، وجميلة ومتينة ... يعني على ذوقه ومقياسه !

ودسّ الناسك جسمه الطري في القوقعة ، وهو يفكر : «حقاً ، كأن احدنا خُلق للآخر . ولا احسن منها ! الآن وجدت آماناً من كل اذى !»

وحتى لم يشعر بالاهانة ، حين حمحم حصان البحر على مقربة منه بصوت حاد النبرة (ومعنى ذلك أنه استعد ليقول نكتة) وقال :

— ها ها ها ! صاحبنا الناسك أوى إلى صومعته !

والاسماك الببغاوات التي لم تفهم شيئاً من هذه النكتة ، اذا اردنا الحقيقة ، التقطت كلامه ، وردّدته في ارجاء البحر الازرق كله ...

ولكن لا بأس في ان تحمل النكتة ، اذا كان حُسن الحظ قد وفّقك في كل شيء . أليس كذلك ؟

٢

ولكن الغريب في الأمر أن صاحبنا الناسك لم تكمل سعادته وكأن شيئاً ينقصها ، رغم أن أحداً (حتى العم ابو جلمبو نفسه) لم يعد قادراً على ايذائه ، ولا حتى لخمشه (حتى لفائدته) ... والا فلماذا كان البحر يبدو له ، كالسابق ، رمادياً كلياً ، ولا ذرة زرقة فيه ؟ ولماذا ظل يردد اغنيته الحزينة :

البحر كون واسع
والماء فيه غزير
والسرطان المسكين
لا يجد مأوى أمين ! ..

وذات مرة لم يتمالك نفسه وقال للسمكة الطيارة رآها غير بعيد عنه :

— الحياة عجيبة في البحر الرمادي ! سمعت أن في الدنيا بحراً ابيض ، وبحراً اسود ، وبحراً اصفر ، وحتى بحراً أحمر . ولكن لا أحد سمع قط بالبحر الرمادي ...

ضحكت السمكة الطيارة وقالت :

ـــ رمادي ! ولماذا هو رمادي ؟ انه لازوردي ، فيروزي ، زمردي ، سماوي ، عنبري ! ازرق زرقاوي ! اكثر زرقة من كل ازرق في الدنيا !

واسرعت في إثر صويحباتها اللواتي تقافزن على السطح ليتمتعن مرة اخرى بالامواج الزرق ذات الاعراف البيض .

وغمغم الناسك مع نفسه :

ـــ كل مَنْ ناقشته قال انه «ازرق» . عجيب ! فلماذا انا وحدي لا اراه بهذا اللون ؟ انا وحدي .

ـــ لهذا ، بالضبط .

صدر صوت مفاجىء ، وارتجف الناسك ، واختفى في قوقعته للحظة . ثم خرج من هناك ، فرأى . . . مَنْ رأى ، حسب رأيكم ؟ اطيب وأحلم سَحَرَة البحر . . . بالضبط . . لم تخطأوا . . . رأى الدلفين . اذ قال له :

ـــ بالضبط ، لأنك وحيد . . . فاختر لك صديقاً ، وعندئذ سترى ! ارجو لك التوفيق ، فكّر فيما قلته لك !

والدلفين (وهو مثل كل السحرة يحب الكلام بالالغاز) لبط بذيله ، وسار في شؤونه الخاصة .

اما الناسك (وانتم تذكرون انه لا يعرف كيف يحزن فقط ، بل وكيف يفكر) فأخذ يفكر . . .

وصار يفكر :

«الدلفين قال : بالضبط ، لأنك وحيد» . بالطبع ، اذا وجدت صديقاً ، فلن اكون وحيداً . . . ولكن ماذا سأرى ؟ آها ، طبعاً ، سأرى البحر ازرق . . . ومن المحتمل عندئذ يتحسن كل شيء . اذن يجب ان ابحث عن صديق . ولكن المصيبة انني لا اعرف من هم هؤلاء الاصدقاء ، واين يعيشون ، وما هي اشكالهم . . . طيب ، لا بأس . عندما سأجد صديقاً حقيقياً ، سأعرف ذلك حالاً ، لان البحر سيصير آنذاك ازرق !»

وبعد هذه المناجاة مع النفس توجه الناسك للبحث عن صديق له . واذا اردتم الحقيقة فان حكايتنا بدأت منذ هذه اللحظة !

٣

ينبغي عليّ ان اقول لكم ان ايجاد صديق حقيقي ليس بالأمر الهيّن جداً ، حتى ولو في قاع البحر . لا سيما اذا كان صاحبنا الناسك لا يعرف شكل الصديق وكيف يكون . . .

بحث الناسك في الجروف الضحلة ، وفي الاعماق ، ورأى الكثير من المخلوقات والكائنات الغريبة ، وحتى الغيلان ، ولكنه لم يعثر على صديق بينها .

في احد الجروف التقى بسمكة الورنك ، وسألها اليست هي صديقة . والمعروف ان سمكة الورنك تقضي يومها كله راقدة في القاع تتربص للاسماك الصغيرة الساهية ، فقالت له :

ـ آوه ، طبعاً ، طبعاً . انا صديقتك ! اسرع اليّ ، ولن نفترق ابداً !

وفتحت شدقها المريع . . .

ومن حسن الحظ ان صاحبنا الناسك ، كما تعرفون جيداً ، كان ذكياً جداً ، فادرك أن سمكة الورنك لا تبحث عن صديق ، بل عن فريسة ، فأسرع بالابتعاد عنها ، وخاب أمل السمكة ، ودندنت في سرها باغنيتها المخيفة تدعو فيها الاسماك ان تزحف في قاع البحر ولا تسبح في مياهه .

وهي محقة في ذلك ، من ناحيتها ، فصيد الزواحف في الأعماق اسهل عليها من صيد السوابح .

ورأى الناسك في اعماق البحر ، حيث الظلام الدائم ، نقطة ضوء ، فابتهج ، وسبح اليها ، فاذا بها سمكة من الاسماك التي تعيش في الاعماق لها اسم صعب لا تعرفه حتى هي نفسها . وحين رأت الناسك صارت تغويه اليها بشعها المضيء ، وكان سيقع في داهية ، لو استجاب إلى طعُمها ، لأن اشداق هذه السمكة لا تقل كبراً عن اشداق الورنك الواسعة . . .

وتعرف صاحبنا على قثاء البحر وحاول أن يبادره الحديث ، إلا أن هذا الحيوان البحري اطلق عليه عيارات من داخله ، لأنه حسبه عدواً ، وهو دائماً يتصرف هذا التصرف مع اعدائه . . .

وحاول مصادقة قنديل البحر الجميل ، ولكن ظهر أنه بليد تماماً ، وسام بالاضافة . وما كاد الناسك يتخلّص من مجساته السامة .



وباختصار الكلام لم يعثر الناسك على شيء ، رغم محاولاته الكثيرة . فريق خافه ، وفريق ضحك منه ، وفريق ثالث حاول افتراسه . وبالطبع لا يجوز ان يعتبر أيٌ من هؤلاء الفرقاء صديقاً حقيقياً له .
واخيراً جلس الناسك يستريح وقد تعب وحزن كثيراً ، وقال :
ــ ها أنا قد تجولت في قاع البحر كله ، ولم أجد صديقاً فيه . والبحر رمادي كما كان . وأظنه سيكون رماديا دائماً ، بالنسبة لي . آه ، لو استطيع ان اغرق نفسي !

٤

وفي تلك اللحظة سمع شهقة عميقة وصوتاً كالصدى يردد قوله :
ــ آه ، لو استطيع ان اغرق نفسي . . .
التفت الناسك ، ولم ير شيئاً . لم ير غير زهرة ، زهرة البحر . ولكن زهور البحر (العلماء يسمونها شقائق البحر) لا تستطيع أن تشهق ، رغم انها ليست زهوراً . أليس كذلك ؟
ولكن الشهقة تكررت ، ثم تبعها نشيج . وليس حول الناسك غير زهرة ، زهرة البحر . فسأل مندهشاً :
ــ اهذه انت تبكين ؟
وهمَّ ان يضيف : «معقول تقدرين ؟» ولكنه سيطر على نفسه في اللحظة المناسبة .
لم تجب الزهرة بشيء ، ولكنها بكت بصوت اعلى ، فلم تعد ثمة حاجة الى الجواب ، في الحقيقة .
سأل الناسك :
ــ ولكن لماذا تبكين ؟ هل كدرك احد ؟
(ذلك لان الناسك لم يكن له جسم رقيق فقط ، بل وقلب رقيق ايضاً) .
قالت الزهرة :
ــ لا احد يجرؤ على تكديري ! لا أحد في البحر كله يجرؤ على مسي !
وانتصبت بفخر ، بل وكفت عن البكاء .

ـــ فلماذا تبكين اذن ؟
عاد الناسك يسأل الزهرة برقة شديدة ، حتى ان الزهرة رقت ايضاً ، واجابته :
ـــ مجرد انني حزينة . وانا حزينة لان هذا البحر رمادي جداً ! فلو وجدت لي صديقاً لاختلف كل شيء . ولكنني لا اقدر على المشي . وكل ما يتبقى لي هو أن الازم مكاني ، واحزن . . .
اراد الناسك ان يقول لها انه طاف في قاع البحر كله ، ولم يجد اي صديق له ، ولكن أسف أن يزيد الزهرة المسكينة حزناً على حزن ، لا سيما وأنها كانت جميلة جداً .
فقال لها :
ـــ ها أنا اسير في قاع البحر ابحث عن صديق لي . وان شئت ذهبنا سوية ، لربما يوفقنا الحظ كثيراً فنعثر على صديقين لي ولك ، وعندئذ سيصير البحر ازرق ، فنكف عن الحزن .
ـــ ولكنني لا اقدر على المشي !
قالت الزهرة ذلك ، واسترخت تويجاتها اسى .
قال الناسك الطيب :
ـــ لا تهتمي بذلك . استطيع ان احملك ، إن شئت ! بل هذا سيسرني !
كانت الزهرة تخاف ان تقتطف من مكانها ، رغم أن العيش فيه لم يكن على ذوقها . . . وهذا ما يحدث دائماً . ولكن الناسك بدا لها طيباً جداً وتحدث معها برقة جعلتها توافق على عرضه .
ساعدها الناسك في النزول من الصخرة ، والركوب فوق قوقعته ، وانطلقا في جولتهما !
دار رأس الزهرة دوراناً شديداً ، فهي لم تعرف من قبل ما تعني الحركة ، فكان يخيل لها ان كل شيء حولها ينطلق متراقصاً : الصخور والنباتات المائية ، والمحارات النامية على القاع ، وقنافذ البحر بل واربد وجهها خوفاً ، ولكنها أبت أن تصدر صوتاً ، فقد كانت أبية النفس جداً .
وبعد بضع دقائق تعودت (لا سيما وأن الناسك ، ونقولها انصافاً ، لم يكن يسير بسرعة كبيرة) وأخذت تبدي فرحتها جهاراً بكل ما كانت تراه حولها . فكانت تهتف :

ـ آه ، ما احلى ! وما اخف التنفس عند الحركة ! آه ، ما ابهج ألوان هذه السمكات ! ما هي اسماؤها ؟ وما هذا الذي يسطع نوراً ؟ نجوم البحر ، اذن ! لم اتصور أنها جميلة بهذا الشكل ! وما هذا ؟ ومَنْ هذا ؟ آه ، ما الطف السباحة والتجوال ! . .

والناسك لا يكاد يلحق في الاجابة عن اسئلتها . ورغم أنه رأى اكثر من مرة كل ما كانت تبدي اعجابها به الا أنه كان يقول في نفسه (وهو الكثير الطيبة) : «دعها تفرح ، المسكينة !» وسرعان ما ستضجر من كل هذا ، مثلما ضجرتُ أنا . . . في الحقيقة يسرني كثيراً ان اسمعها تفرح هذه الفرحة ! تُرى ، لو وجدت صديقاً لي ، هل سنفرح سوية بهذا الشكل ؟»

وفكر كم يحزنه الا يجد له صديقاً في اي مكان ، واذا بالزهرة تخرج من صمتها القصير ، وتسأل ، وكأنما حدست ما كان يجول في خاطره :

ـ طيب ، متى سنذهب للبحث عن صديقين ؟

وهنا ، لم يضبط الناسك نفسه ، وقصَّ عليها الحقيقة كلها . كيف بحث عن صديق في قاع البحر كله ، ورأى مخلوقات وكائنات وحتى غيلاناً ، ولكن لم يجد صديقاً في اي مكان . . :

وختم كلامه حزيناً :

ـ ربما لا وجود للاصدقاء في الدنيا على الاطلاق ، والافضل الا نتعب انفسنا بالبحث عنهم ؟

٥

قالت الزهرة :

ـ غير صحيح . الاصدقاء موجودون في الدنيا ، أنا واثقة من ذلك . وانت لم تجدهم لمجرد أنك لا تعرف اين تبحث عنهم .

فسأل الناسك :

ـ وانت تعرفين ؟

ـ اعرف . الاصدقاء الحقيقيون يعيشون في المدينة الحمراء . وقد بنوها بانفسهم ويسكنون فيها في مودة ووئام ، والبحر ، عندهم ، دائماً ازرق . ويقال

ان هؤلاء الاصدقاء هم اخواني او اخواتي او اقربائي عموماً ، ولهذا يجب ان نذهب اليهم ، وسيسرون بنا كثيراً !

وبكلمة اقرباء تذكر الناسك قريبه العم ابو جلمبو ، فأخذ يسألها :

— ولا يخمشوننا لفائدتنا ؟

قالت الزهرة بفخر :

— آمل الا يفعلوا . قلت لك لا احد يجرؤ على مسي ! — واستدركت — اذا كنت لا أريد .

اذ تذكرت أن الناسك قد مسَّها ، حين ساعدها في الصعود على القوقعة .

اراد الناسك ان يقول ان ذلك يخفف عنه كثيراً ، رغم انه ، مع الاسف ، لقي الكثير من الخمشات ، لكنه لم يلحق ان يقول ، لأن العم ابو جلمبو نفسه ظهر امامهما في تلك اللحظة .

بادره على الماشي «صباح الخير ، يا ابن الأخ» واراد ان يمضي بمشيته الجانبية الى شؤونه (لآباء جلمبو شؤون كثيرة دائماً) ولكنه لمح الزهرة ، فتبحلقت عيناه دهشة .

— وما هذا ايضاً ؟

سأل مشيراً بذراعه السميكة نحو الزهرة .

ولا يجوز القول انه كان في غاية التهذيب !

شرح له الناسك قائلاً :

— ليست ما هذا ، بل مَنْ هذه ! هذه الزهرة . ونحن ذاهبان الى المدينة الحمراء بحثاً عن اصدقاء !

واشتدت دهشة العم ابو جلمبو ، وازدادت عيناه جحوظاً . قال :

— هذا لا يخصني ، بالطبع . ومع ذلك ينبغي ان اقول لك شيئاً . اولاً المدينة الحمراء تقع وراء البحور السبعة ، يعني لا يمكنك ان تصل اليها ! ثانياً ، ان اسمها الحقيقي ليس المدينة الحمراء ، بل لها اسم آخر ، ولهذا فأنت لا تهتدي اليها ! ثالثاً ، لا يوجد اصدقاء هناك ايضاً ، فلا جدوى من البحث عنهم هناك ! وملخص القول ، انت تقدم على عمل احمق ! والاكثر حماقة ان تحمل معك هذا الحمل الثقيل .

واشار مرة اخرى الى الزهرة بذراعه السميكة .

امتقعت الزهرة من الاهانة ، وتهدلت تويجاتها .

وهنا لزم الأمر ان يبدي العم ابو جلبمو دهشة اشد بكثير من ذي قبل ، لأن الناسك (وانتم لم تنسوا أنه كان كثير الطيبة جداً جداً) استشاط غضباً ، لاول مرة في حياته ، وصاح :

ــ لا تتجاسر وتهينها !

واندفع نحو ابو جلمبو .

وكاد العم ابو جلمبو الا يزوغ منه . ولكنه زاغ ، على كل حال . وبعد أن جرى بمشيته الجانبية مسافة محترمة صاح من هناك :

ــ هذا لا يخصني بالطبع . ولكنك حتماً ستلتقي في احد البحار السبعة بالسيدة ح . . . ، وستريك نجوم الظهر ! وارجو من كل قلبي ان يحدث ذلك ، ايها الولد الفظ ! لفائدتك !

واحس الناسك ببعض الرهبة .

اذ لا أحد يريد ان يريه نجوم الظهر . ثم انه كان يعرف جيداً مَنْ هي السيدة ح . . .

واخذ يبطئ في سيره دون ان يدري . . .

سألته الزهرة بلهجة رقيقة :

ــ خائف ؟ قل بصراحة ! تخاف من السيدة ح ؟ لا تخف ، فأنا معك .

وكاد الناسك أن يضحك ، رغم كل خوفه .

لأن السيدة ح هو الأسم الذي يطلقه جميع السراطين والسلاطعين على ارهب عدو لها ، حتى انها لا تجرؤ على النطق بالاسم كاملاً . فهذه السيدة تمسك اقوى ابو جلمبو باذرعها الرهيبة ، فيصير عاجزاً كالطفل الرضيع . تكسر بمنقارها الرهيب اقوى قوقعة بسهولة ، كما وتكسر قشرة بيضة . . .

فماذا ستفعل ، بم سينجد زهرته الصغيرة المسكينة ، اذا التقيا السيدة ح ؟

ولكنه لم يضحك ، لأنه لم يرد ان يكدر الزهرة .

قال بشجاعة :

ــ لا بد مما ليس منه بد . . . ولكن . . . على أية حال . . . نأمل ألا نلتقي بها !

قالت الزهرة :

— وحتى اذا التقينا بها ، سنريها بانفسنا نجوم الظهر .
واذا بالناسك يرسل ضحكة عالية ، وشعر ، والدهشة تستولي عليه ، بأن الخوف يكاد ينزاح عن قلبه .
وواصلا سبيلهما .

٦

اجل ، كانت تلك رحلة طويلة ، اطول بما لا يقاس من رحلته الأولى في قاع البحر . قطعا البحر الاول ، والبحر الثاني ، والبحر الثالث . والقول ابسط بكثير من الفعل .
ولكن الغريب في الأمر أن هذا الطريق الطويل الطويل بدا للناسك أقصر بكثير.
ربما لأنهما فى سفرهما كانا يقتسمان كل شيء ، كل حبة طعام ، كل الافراح ، وكل الاتراح ، وكانا يتحدثان بمرح عن كل ما شاهداه في الطريق .
سارا ، وسارا ، وحينما وصلا الى البحر الرابع أحس الناسك فجأة ان قوقعته لم تعد تسعه ، فخرج منها ، ليبحث عن اخرى .
همست به الزهرة :
— على مهلك ! تريد ان تتركني ؟
قال الناسك :
— ما هذا منك ! مجرد انني كبرت ، واحتاج الى قوقعة اخرى اوسع قليلاً !
اصرَّت الزهرة على قولها :
— لا . انت تريد تركي .
وشحب لونها تماماً .
واضطر الناسك ان يصرف وقتاً طويلاً ليهدئها ، ولكنها لم تهدأ تماماً ، الا حين وجد قوقعة اخرى ، واركبها عليها . وسارا في طريقهما من جديد .
قالت الزهرة :
— لو تركتني لمت في الحال .
فقال الناسك باخلاص :

ــ وانا ايضاً !

وعاد البهاء الى الزهرة ، وراحت تقص عليه حكايات ، وكل ما يخطر على البال من الجمل القصار والطوال ، حتى أنهما في حديثهما ، لم يلحظا أن الماء يصير ادفأ فأدفأ ، وكان هذا يعنى شيئاً واحداً هو انهما دخلا البحر السابع ، البحر الذي تعيش فيه السيدة ح الرهيبة .

ــ لحظة ، ما هذا ؟

قال الناسك وتوقف ، ولم يدع الزهرة تكمل حكاية زواج ابو مطرقة (توجد مثل هذه السمكة) من ام سندان (لا توجد مثل هذه السمكة في الحقيقة) وكيف رزقا بالكثير من البنين والبنات : ابو منشار ، وام مسمار ، وابو منجل ، وام كلاّبة ، وأبو مبرد ، وام حذوة ، وابو سيف ، وكثير غير ذلك مما هو موجود في عالم الاسماك وغير موجود . . .

توقف الناسك لأنه رأى مشهداً مريعاً يظهر امامه ! رأى قدّامه ، بين صخرتين من صخور القاع مضيق كانت عند فتحته كومة كبيرة من قواقع آباء جلمبو والسراطين . وكلها فارغة ، بعضها مكسورة الى نصفين كما يُكسر الجوز ، وبعضها مسحوق كما تسحق قشور البيض ، بل وبدا للناسك انه لمح بينها قوقعة العم ابو جلمبو واذرعه مشوهة . حقاً كان من الصعب في هذا التل من القواقع والاذرع ان يتعرف على قوقعة معينة ، ولو كانت قوقعة احد اقاربه . . .

شيء واحد كان واضحاً ، وهو ان السيدة ح تعيش على مقربة .

ولكن الطريق الى المدينة الحمراء كان يمتد الى الامام ، والى الامام فقط .

٧

سار الناسك في المضيق ببطء وحذر ، متلمساً كل قطعة من القاع بشواربه الطويلة ، ومحدقاً بكل بصره ، رغم انه كان يعرف ان ذلك بدون فائدة تقريباً ، لأن السيدة ح . . . مثل كل اقربائها ــ الاخطبوطات ، وما شابهها ، ــ تستطيع ان تصير غير منظورة ، اذا ارادت ، فلا تفرقون بينها وبين الحجارة أو كومة الرمل ، حتى تقفز عليكم ، وعندئذ يكون اوان الفرار قد فات . . .

اخذ المضيق يزداد ضيقاً ، وانحدار جدرانه الصخرية يزداد شدة ، وفى الجدران



فوهات الكهوف الكئيبة ، والظلام يشتد اكثر فأكثر . . . والناسك ماض في سيره . . .
واذا بالدنيا تتنور قليلاً وبدا وكأن الخطر قد زال . ولم يبق بينهما وبين الخروج من المضيق غير بضع عشرات من الخطوات ، وفجأة لمعت عينان رهيبتان من كهف كبير . . . وظهرت مجسّات طويلة . . . واذا السيدة ح تخرج من الكهف ببطء وبلا صوت . ورغم أن الناسك لم يرها من قبل قط ، الا انه عرفها في الحال .

صاح باستماتة :
ــ يا زهرة ، فرّي بجلدك !
ومن فزعه نسي ان الزهرة غير قادرة على المشي ، والظاهر ايضاً انه نسي قدرته على المشي ، فقد جمد في مكانه بلا حراك .
ولكنه رفع ملاقطه بتهديد حماية للزهرة . . .
راحت الحبّار (وهو الاسم الكامل للسيدة ح) تسبح مقتربة شيئاً فشيئاً ، ودون عجالة ، لانها كانت واثقة من أن فريستها لن تفلت منها .
وصار الناسك يرى بوضوح ممصاتها الرهيبة فى اطراف اذرعها . . . ظلت الاذرع تقترب اكثر فاكثر متلوية كالافاعى ، حتى امسكت اخيراً بالناسك الصغير المسكين ، وسحبته بقوة مخيفة قرب عينيها الهائلتين غير الرامشتين . وطق الفك الرهيب . . .
صارع الناسك صراع المستميتين ، ولكن الاذرع كانت قوية ، كالحديد . . . وتهدلت ملاقطه بلا حول .
ودار في خاطر الناسك : هذه هي النهاية . وداعاً ، يا زهرة ! . .
وفي تلك اللحظة اصابت كثرة من البروق الخاطفة جسم الحبّار البدين . وتبين أن الزهرة اطلقت سلاحها الرهيب ، السهام الحارقة المختفية في تويجاتها الجميلة .
إذن ، صحيح ما كانت تقوله : لا أحد يجرؤ على مسي !
ضربة واذا بالعينين غير الرامشتين تتغشيان بنقاب . وضربة ، واذا بالاذرع المجسات ترتخي خائرة ، وتطلق فريستها ، وضربة اخرى واذا بالحبّار كالمسلوقة (كانت مسلوقة فعلاً !) تنقذف ناحية ، وقد اطلقت ، في الختام ، «قنبلة حبر» ، سحابة لون قاتم ، كالحبر . . .

وغرق كل شيء بلون الحبر الاسود . . .
وحين انقشع الظلام لم يكن للحبار وجود .
وانفتح طريق الخروج من المضيق .
سألت الزهرة :
— طيب مَنْ ارى الآخر نجوم الظهر ؟

٨

انفتح الطريق ، وحين خرج السائحان من المضيق الى اشعة الشمس الباهرة انكشفت امامهما المدينة الحمراء ! فيا لروعة معالم جدرانها المرتفعة اعلى فأعلى كالمدرجات ، والمتلاشية في مكان ما في العلياء ، حيث ينتهي البحر . وتبتدئ السماء ! وانغام الاغاني المرحة ، ومقمقة الاسماك الدائمية (لعلكم لم تنسوا ان الاسماك هواة ثرثرة كبار ؟) تنساب دوائر بعيدة بعيدة حولهما .

ودار في ذهن الناسك والزهرة في وقت واحد : «آه ، يبدو ان الحياة حافلة بالمرح هنا» .

وحدسا في الحال انهما في المدينة الحمراء ، رغم انهما لم يريانها قط . لان جدرانها ذات الوان عجاب . حمراء ، وردية ، قرمزية ، ارجوانية آية في السطوع !

وسألا أول من التقياه بصوت واحد :

— أهذه المدينة الحمراء ؟

وتبين انه السمكة الطبيبة التي كانت تعالج سمك الفرخ من براغيث البحر . وقد انصرفت الطبيبة عن عملها ، وقالت بلهجة جادة :

— إحم ! المدينة الحمراء ؟ لا يمكن ان تكون هذه تسمية علمية . تستطيعان ان تسمياها كذلك ، اذا شئتما ، ولكنها في واقع الحال صخور مرجانية ! لان المرجان هو الذي أقامها ، والتسمية الصحيحة من وجهة النظر العلمية هي مدينة من الصخور المرجانية .

قالت الزهرة على غير انتظار :



— تذكرت ! هذا اسم اصدقائي . . . او اقاربي . المرجان ! نعم ، نعم ، هؤلاء هم . لنسرع .

ولكن حين تقدم الناسك والزهرة من المدينة او الصخور المرجانية اكثر ، لتكون مرئية لهما الملايين من التويجات الشفافة ، الشبيهة بتويجات الزهرة (المرجانيات بهذا الشكل تماماً) ، توقف الناسك ، وانشأ يقول في نفس الوقت الذي نطقت به الزهرة ، وهكذا قالا بصوت واحد :

— لا اريد ان ابحث عن اصدقاء غيرك !

واذا بصوت أليف بشكل مذهل يقول :

— حبذا لو كان ذلك من زمان ! فان تبحث عن شيء وجدته منذ زمان مجرد مضيعة للوقت !

كان هذا ، بالطبع ، الساحر البحري الدلفين .

وحين رأى انهما لم يفهماه ، لا الناسك ولا الزهرة ، اضاف :

— غريبان انتما ! هل معقول لم تحدسا حتى الآن انكما اصدق صديقين !؟ والناس تقول عن الاصدقاء الذين يضرب بهم المثل : لن تفصل بينهما ولو بالماء ! وأنتما لم تفصل بينكما البحار السبعة كلها .

وصهل صوت عالي النبرة على مقربة : — خيه ، خيه ، خيه !

فاذا به صوت حصان البحر ، فهو دائماً على مقربة .

ولربما هذه المرة الوحيدة التي ضحك على نكتة غير نكتته .

— خيه ، خيه ، خيه !

ن لا الناسك ولا الزهرة تكدر من ذلك ، بالطبع .

لان البحر كان ازرق للغاية ، ازرق من كل زرقة في الدنيا !

والحياة فيه مرح ومتعة !

وانضما الى الاغنية المرحة التي ترددت من كل الجوانب . فقد كانت الاسماك الصغيرة تغني :

لا امرح لا أحلى
من السمك في الماء

فغنى الناسك والزهرة :

والناسك والزهرة
اصفى الاصدقاء
لا يحسدان الغير
حتى السمك في الماء !

واظنهما كانا صائبين تماما ! لأنك اذا وجدت صديقاً ، وغنيت معه اغنية مرحة ، فانت تملك كل ما تحتاجه السعادة الكاملة !





اندري بلاتونوف

الفراشة الملونة

على ساحل البحر الاسود ، حيث ترتفع جبال القفقاس من الساحل صوب السماء كانت عجوز تدعى انيسيا تعيش في كوخ حجري قائم وسط حقل زهور وورود . وعلى مسافة غير بعيدة من حقل الزهور منحلة كان يعيش فيها مربي النحل الجد اوليان . وكان الجد اوليان يقول : عندما وصلت الى القفقاس وأنا شاب لمّا أزل ، كانت انيسيا عجوزاً ، ولا أحد كان يعرف آنذاك كم لها من العمر . وكم عدد السنين التي عاشتها على هذه الارض . وانيسيا نفسها لا تعرف كم عمرها ، لانها نسيته . ولا تذكر إلا شيئاً واحداً ، وهو أن الجبال ، آنذاك ، كانت فتية لا تغطيها الغابات . وقد قالت ذلك في حينها الى احد السوّاح ، فسجل هذا كلماتها في كتاب له . ولكن هذا السائح مات منذ زمان ، والجميع نسوا كتابه .

كان الجد اوليان يزور انيسيا مرة في العام ، يجلب لها العسل ، ويصلح لها احذيتها ، ويعاين حالة الجردل ، لعل ثقباً فيه ، ويجدد قرميد سطح الكوخ ، كيلا ينفذ المطر من خلاله .

وبعد ذلك كانا يجلسان على صخرة عند مدخل الكوخ يتحدثان حديث القلب للقلب . كان اوليان العجوز يحسب بأنه طاعن في السن ، وأن اجله قد حان ، ومن المستبعد ان يزور انيسيا في العام القادم .

وفي آخر مرة التقى فيها بانيسيا لاحظ ان جسر نظارتها الحديدي صار رقيقاً واضعف من الخيط ، وانه على وشك أن ينقطع لطول الزمن الذي قضاه على قصبة انفها . عند ذاك اوثقه اوليان بسلك لتظل النظارة قيد الاستعمال ، ومن خلالها يمكن أن يشاهد كل شيء في هذه الدنيا .

قال اوليان :

ـ ماذا يا جدة انيسيا ، الم نستنفد ، أنا وانت ، ايامنا على هذه الارض ؟

ردت انيسيا :

ـ لا ، انا لم استنفد ايامي . ما تزال لديَّ شغلة هنا ، انتظر ولدي . ويجب ان اعيش الى أن يعود . وافقها قائلاً :

ـ عيشي ، اذن . أما بالنسبة لي فقد آن الآوان .

ورحل اوليان ، وبعد قليل توفي من الشيخوخة . اما انيسيا فقد ظلت تعيش وتنتظر ابنها .

* * *

كان تيموشا ابن انيسيا قد هرب ، وهو ما يزال صغيراً ، وكانت انيسيا آنذاك شابة ، ومنذ ذلك الحين لم يعد الى أمه . وقد تعود تيموشا ان يهرب كل يوم من البيت إلى الجبال ، ليلعب هناك ، ويتحدث الى صخور الجبال التي تستجيب لصوته ، ويصطاد الفراشات الملَّونة .

وعند الظهيرة كانت انيسيا تطلع الى الدرب المؤدي الى الجبال ، وتنادي ابنها :

ـ تيموشا ، تيموشا ! . . مرة أخرى أخذك اللعب ، ونسيتني .

ـ حالاً ، ماما ، فقط ان اصطاد فراشة .

ويصطاد فراشة ، ويعود الى أمه ، وفي البيت يريها الفراشة ، ويقول في اسف : لم تعد تطير ، بل تسير ببطء ، وقليلاً قليلاً .

وكان تيموشا يسأل محركاً جناحي الفراشة :

ـ لماذا لا تطير ، يا ماما ؟ الافضل ان تطير . يعني ستموت الآن ؟

فكانت الأم تقول له :

ـ لا تموت ولا تعيش . فالطيران هو حياتها . بينما انت اصطدتها ، وامسكتها بيديك ، اضررت بجناحيها ، فصارت عليلة . . . فلا تصطد الفراشات بعد الآن !



كان تيموشا في كل يوم يصعد الجبل خلال درب قديم . وكانت أمه انيسيا تعرف ان هذا الدرب يرتقي الجبل الصغير الى الجبل الكبير ، ومن الجبل الكبير الى الجبل العالي ، حيث تتجمع السحب دائماً في المساء ، ومن هذا الجبل العالي الى اشرس وارهب قمة للجبال قاطبة ، ومن هناك يخرج الى السماء . وسمعت انيسيا ان الدرب شقه رجل مجهول سار به الى السماء عبر الجبل العالي . مضى فيه ولم يعد . لم يخلف هذا الرجل ذرّية ، ولم يحب احداً من الناس ، والارض لم تكن تطيب له ، فنسيه الجميع ، ولم يبق من اثر له غير هذا الدرب ، الذي قلّ من سار به بعده .

وتيموشا وحده كان يجري في هذا الدرب لاصطياد الفراشات .

ذات مرة جاء تيموشا الى البيت ، وكان الوقت مساء ، الزهور تهوّم ناعسة في الظلام على منحدر الجبل . وبالقرب من الدرب نما نصل عشب وحيد كان رأسه يطل من تحت شق الى مَنْ كان يسير على الارض ، وعلى وجهه يلتمع نور صاف . فرأى تيموشا ان قطرة من الندى وقعت على النصل ، ليشربها .

فكر تيموشا : «انها قطرة طيبة !»

وفي تلك اللحظة حطت فراشة ملّونة كبيرة على النصل ، وراحت تخفق بجناحيها . ارتعب تيموشا ، فهو لم ير قط مثل هذه الفراشة . كانت ضخمة كالطير ، وجناحاها في زهور لم ير تيموشا مثلها من قبل . ومن خفق جناحيها بدا للصبي أن النور يخرج منها ، ويرن كصوت خافت يدعوه .

مدّ تيموشا يده ليمسك بالفراشة المشعة المرتعشة ، الا أنها طارت الى صخرة كبيرة . عند ذاك قال تيموشا لها من بعيد :

— تعالي نتحدث قليلا .

لم تقل الفراشة شيئاً ، ولم تنظر الى تيموشا . كانت تخشاه لا غير . على الارجح أنها كانت فراشة شريرة ، ولكن ما اجملها ...

ارتفعت الفراشة عن الصخرة ، وطارت فوق الدرب الى الجبل . ركض تيموشا وراءها ، لينظر اليها مرة أخرى ، لأنه لم يشبع من النظر اليها .

جرى في الدرب وراء الفراشة ، الى الجبال ، ولكن الليل اظلم فوقه . ولم يصرف بصره عن الفراشة الطائرة امامه ، ولم يضل عن الدرب لمعرفته الجيدة به .

كانت الفراشة تطير طليقة ، كما كانت تشاء ، فكانت تطير في المقدمة ،



والى الوراء ، والى جانب ثم تنتقل على الفور الى الجانب الآخر ، وكأن ريحاً غير مرئية كانت تنفخ عليها ، بينما كان تيموشا يركض في إثرها لاهث الانفاس .

وفجأة سمع صوت امه :

ـــ مرة اخرى اخذك اللعب ، واخذك الجري ، ونسيتني !

اجاب تيموشا :

ـــ حالاً ، ماما . فقط ان اصطاد فراشة ، احلى فراشة ، وآخر فراشة .

طارت الفراشة امام وجه تيموشا تماماً ، فأحس بنسمة جناحيها الدافئة ، ثم اختفت الفراشة تماماً .

بحث عنها بعينيه في الهواء ، وقرب الأرض ، وركض الى الوراء ، ولكنه لم يعثر على الفراشة .

وهبط الليل . وركض تيموشا في الدرب الى الجبل . فقد كان يخيل اليه أن الفراشة تنير بجناحيها غير بعيد عنه ، فكان يمد يديه ليمسك بها . وكان قد اجتاز الجبال الصغيرة ، والجبال الكبيرة ، وصعد إلى ارهب واقفر قمة للجبال قاطبة حيث يخرج الدرب الى السماء .

بلغ تيموشا نهاية الدرب ، ومن هناك تكشفت له السماء كلها مرة واحدة ، وبالقرب منه كانت تشع نجمة كبيرة كريمة متوامضة . وفكر تيموشا :

«ساخطف النجمة ، فذلك أحسن ، فلست الآن بحاجة الى فراشة» .

نسي الأرض ، ومد يديه الى السماء ، فوقع في الهاوية .

في الصباح ، تلفت ليرى أين هو . كانت الاجمات تنمو على منحدر الجبل ، وعلى شاطىء جدول صغير يبتدئ من ينبوع عند سفح الجبل ، ثم ينحدر على الارض قليلاً حتى ينصب في بحيرة صغيرة ، ومن البحيرة يرتفع الماء بخاراً ضبابياً خانقاً ، لان الجو حار هنا حتى في الصباح . وحوله جدران عالية جرداء لجبال مصعّدة حتى السماء العالية ، يتعذر على أحد أن يتسلقها ، بل يمكن ان يطير في الهواء كالفراشة .

كانت الجبال تسد قاع الهاوية التي وجد تيموشا الصغير نفسه فيها . فقضى النهار كله يتمشى في قاع هذه الهاوية ، وليس هناك غير الجدران الصخرية لجبال يستحيل تسلقها ، والخروج من الهاوية . كان الجو حاراً مرهقاً . فصار تيموشا يتذكر أن بيت أمه الآن رخو الهواء .

كانت اليعاسيب تطن وتعيش في العشب والاجمات على شاطئ الجدول ، والفراشات المشعة كتلك التي اراد تيموشا ان يصطادها يوم أمس تطير في كل مكان ، وترتعش فوق الارض الحارة ، ويُسمع ضجيج اجنحتها ، ولكن تيموشا لم يعد يريد ان يصطادها ، ويضجر من النظر اليها .

صاح في السكون الحجري :

— ماما !

وشرع يبكي من اشتياقه لأمه .

جلس تحت جدار الجبل الصخري ، وصار يحكه باظافره . أراد أن يثقب الصخر ، ويخرج من خلال الجبل الى امه .

° ° °

مضت سنون كثيرة منذ أن وجد تيموشا الصغير نفسه في قاع الهاوية الصخرية .ترعرع تيموشا واصبح كبيراً . عثر على قطع صخرة صلبة وقعت في وقت ما من قمة الجبل ، وصار ينحتها على صخور صلبة مثلها . وصار يحطم الجبل بهذه الصخور ، ولكن الجبل كان هائلاً ، وصخوره صلبة ايضاً .

وظل تيموشا يعمل سنين بكاملها ، فلم يثقب من الجبل الصخري غير كهف غير عميق ، وكان عليه ان يخترق مسافة بعيدة من الجبل ليخرج الى بيته . ترك تيموشا عمله والتفت الى الوراء ، فرأى الفراشات الملوّنة تطير كالسحابة في الهواء الحار . منذ الطفولة لم يصطد تيموشا ولو فراشة واحدة ، وعندما كانت فراشة تحط عليه مصادفة ، كان يمسكها ويرميها عنه .

قلّ اكثر فأكثر سماعه لصوت امه المتردد في حنايا قلبه «تيموشا ، انت نسيتني ! لماذا خرجت ولم تعد . . .؟»

فكان يبكي رداً على صوت امه الهادىء ، ويزداد حماساً في ثقب الجبل الصخري .

وكان حين يستيقظ من نومه في الكهف ينسى احياناً اين هو يعيش ، ولا يذكر أن سنين طويلة انقضت من عمره ، فيظن انه ما يزال صغيراً ، كما كان ، ويعيش مع امه على ساحل البحر ، فيبتسم سعيداً مرة أخرى ، ويهم بالخروج

لاصطياد الفراشات . ولكنه بعد ذلك كان يرى الصخر فيما حوله ، ولا احد غيره . فكان يمد ذراعيه باتجاه بيته ، وينادي امه .

اما الأم فقد كانت تنظر في السماء ذات النجوم ، فتتصور أن ابنها الصغير يجري بين النجوم ، وان نجمة تجري في مقدمته ، وقد مدَّ اليها يده يريد أن يصطادها ، بينما النجمة تبتعد عنه اكثر فأكثر في قلب السماء السوداء .

كانت الأم تعد الزمن . كانت تعرف لو أن تيموشا كان يجري على الارض وحدها ، لكان قد دار حولها منذ زمان ، وعاد الى بيته . ولكن الابن لم يعد ، والزمن انقضى الكثير منه . ومعنى ذلك ان تيموشا اوغل ابعد من الأرض ، وذهب الى حيث تطير النجوم ، ولا يعود الا حين يدور حول السماء كلها . كانت تخرج في الليل ، وتجلس على صخرة قرب الكوخ ، وتنظر في السماء ، فيتراءى لها انها ترى ابنها يركض في المجرة .

وكانت تقول بصوت خافت :

— تيموشا ، عد الى البيت ، حان الوقت . ما حاجتك الى الفراشات ، والى الجبال والسماء ؟ اترك الفراشات والجبال والنجوم تحيا حياتها ، وعش انت معي ! والا فانت تصطاد الفراشات ، فتموت ، وتمسك بالنجوم فتظلم . لا حاجة . فليبق كل شيء على قيد الوجود ، وعندئذ ستبقى انت .

وابنها في ذلك الوقت كان يهدو الجبل ذرة فذرة ، وقلبه يتمزق حنيناً الى أمه . ولكن الجبل كان عظيماً ، والعمر ينقضي ، فصار تيموشا عجوزاً .

* * *

وذات مرة حلَّت اللحظة المنشودة . اذ سمع تيموشا من داخل الجبل الصخري ما يشبه دلواً يصلصل . ومن الصوت عرف أنه دلوها ، دلو أمه ، فراح يصيح ليُسمع صوته . ولم يخطأ حدسه ، فقد كانت أمه ذاهبة لتستقي الماء . وكانت لا تحمل غير ربع دلو ، لانها لا تستطيع ان تحمل اكثر .

سمعت الأم صوتاً يصيح من داخل الجبل ، ولكنها لم تتعرف على صوت ابنها . سألت :

— مَنْ هناك ؟

عرف تيموشا صوت أمه فأجاب :

— ماما ، انا نسيت من انا .

قعدت الأم على الارض الصخرية ، والصقت عليها وجهها .

حطم الابن الصخور الاخيرة في الجبل ، وخرج الى أمه على سطح الارض . ولكنه لم يرها ، لأنه فقد بصره داخل الجبل الصخري . نهضت انيسيا العجوز للقاء ابنها ، ورأت امامها عجوزاً . عانقته وقالت :

— ولدتك ، فهربت . ولم ارعك ولم أربك ، ولم الحق ان اناغيك . . .

التصق تيموشا بجسم أمه الصغير الواهن ، وسمع خفقات قلبها .

— ماما ، منذ الآن سأكون معك دائماً .

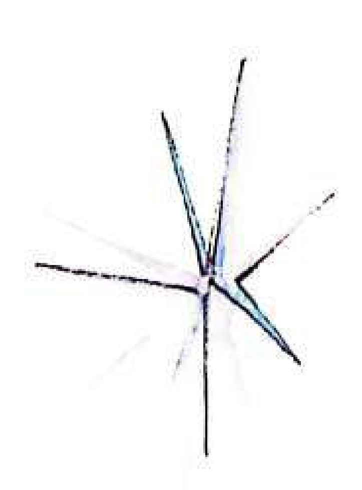
— صرت عجوزاً ، عشت عمرين انتظر مجيئك . وانت ايضاً صرت عجوزاً . سأموت عن قريب ولا امتع بصري فيك .

ضغطت الأم ابنها الى صدرها ، وارادت ان تنقل كل انفاس حياتها الى ابنها ، ليكون حبها له قوة وحياة .

وشعرت بأن ابنها تيموشا صار خفيفاً ، ورأت انها تحمله في يديها ، وقد انقلب من جديد ، صغيراً ، كما كان حين ركض وراء الفراشة الملوّنة . وتحولت حياتها حباً الى ابنها .

تنفست الام العجوز نفسها الاخير السعيد ، ووضعت ابنها ، وماتت .

١٩٤٦





قسطنطين باوستوفسكي

العصفور المنفوش

كان في ساعة حائطية قديمة حداد بحجم جنود الدمى مصبوب من حديد ، ويحمل مطرقة . خرخشت الساعة فرفع هذا الحداد مطرقته عالياً ، وهوى بها على سندان نحاسي صغير . وسرى رنين عجول في الحجرة ، وترامى تحت دولاب الكتب وسكت .

ضرب الحداد السندان ثماني مرات ، واراد ان يضرب التاسعة ، الا أن يده ارتعشت ، وتدلت في الهواء . وبقي مرفوع الذراع ساعة كاملة ، حتى جاء موعد ضربه تسع مرات على السندان .

وكانت الطفلة ماشا واقفة عند الشباك ، ولم تلتفت . ولو التفتت لاستيقظت المربية بتروفنا حتماً ، وصرفتها لتنام .

كانت بتروفنا تنعس على الاريكة ، وماما خرجت الى المسرح ، كالعادة . كانت ترقص وتمثل على المسرح . ولكنها لم تأخذ ماشا معها قط .

والمسرح كبير ضخم له أعمدة حجرية . وعلى سطحه خيول من الحديد واقفة

على قوائمها الخلفية ، يمسك بها رجل متوج رأسه باكليل . ربما هو قوي وشجاع ، حتى ينجح في وقف الخيول الجموحة قبل ان تسقط من حافة السطح ، فقد كانت حوافر الخيول الامامية تطل فوق الساحة . وكانت ماشا تتصور ماذا سيحدث من هرج ، لو أن الرجل لم يستطع وقف الخيول الحديدية . كانت ستندفع من السطح الى الساحة ، وتنطلق هادرة دون ان يستطيع رجال الميليشيا اللحاق بها .

كانت ماما قلقة طوال الايام الاخيرة . فقد كانت تستعد لترقص البنت سندريللا ، ووعدت ان تأخذ بتروفنا وماشا الى المسرح لحضور العرض الاول . وقبل يومين من العرض اخرجت ماما من الصندوق باقة صغيرة مصنوعة من الزجاج الرقيـق ، هي هدية بابا الى ماما . وابو ماشا بحار ، جلب هذه الباقة من بلاد بعيدة بعيدة .

ثم خرج بابا الى الحرب ، واغرق مراكب فاشية كثيرة ، وغرق مرتين ، وجرح ، ولكنه شفى . وهو الآن خارج في سفر بعيد مرة أخرى ، الى بلد له اسم عجيب : «كامتشاتكا» ، ولا يعود قريبا ، في الربيع فقط .

اخرجت ماما باقة الزهور الزجاجية ، وقالت لها بعض الكلمات بصوت واطىء . وهذا شيء غريب ، لأن ماما لم تتحدث إلى الجماد كل عمرها .

همست ماما :

— ها هو يومك قد جاء .

سألت ماشا :

— اي يوم ؟

اجابت ماما :

— انت صغيرة ، ولا تفهمين شيئاً . عندما اهداني ابوك هذه الباقة قال : «حين سترقصين سندريللا لأول مرة ، عليك ان تعلقيها على فستانك ، بعد الحفلة الراقصة في القصر . عندئذ سأعرف انك تذكرينني في تلك اللحظة» .

قالت ماشا زعلانة :

— وأنا ايضاً فهمت .

— ماذا فهمت ؟

— كل شيء !

اجابت ماشا ، وتورد خداها ، فقد كانت لا تحب ان لا يصدق بها الناس .

وضعت ماما الباقة الزجاجية على منضدتها ، واوصت ماشا بأن لا تمسها حتى بخنصرها ٭ ، لانها رقيقة جداً .

في ذلك المساء كانت الباقة مطروحة على منضدة وراء ماشا متلألئة . كان السكون شاملاً ، حتى لكأن كل شيء حولها قد هجع ، البيت كله ، والحديقة خلف النوافذ ، والأسد الحجري الرابض في الاسفل عند البوابة ، الذي كان الثلج يكسوه اكثر فأكثر . وماشا وحدها لم تكن نائمة ، وكذلك التدفئة البيتية والشتاء . وكانت ماشا تنظر وراء النافذة ، والتدفئة تهس باغنيتها الدافئة ، والشتاء ، على عهده ، ينثر من السماء ثلجاً خافتاً يتطاير في ضوء مصباح الشارع ، ويستقر على الارض . كان لا يعقل كيف يمكن ان يتساقط مثل هذا الثلج الابيض من مثل تلك السماء السوداء ، مثلما لا يعقل لماذا تتفتح وسط الشتاء والصقيع تلك الزهور الحمراء الكبيرة في السلة على منضدة ماما . ولكن الاكثر مما لا يُعقل ذلك الغراب الاشيب الجالس على غصن وراء النافذة ، ينظر الى ماشا دون أن يرف له جفن .

كان الغراب ينتظر ان تفتح بتروفنا فتحة التهوية ، ليتجدد هواء الحجرة قبل النوم ، وتأخذ ماشا لتغتسل .

وحالما تنصرف بتروفنا وماشا يطير الغراب الى الفتحة ، ويدلف منها الى الحجرة بصعوبة ، ويخطف كل ما وقع عليه بصره فيها ، وينسل عائداً . وكان يستعجل في ذلك ، حتى ينسى ان يمسح مخلبيه بالبساط ، فيترك آثار البلل على الطاولة .

وفي كل مرة تعود بتروفنا الى الحجرة تبسط ذراعيها ، وتصيح :

— حرامي ! مرة أخرى نشل شيئاً !

فتبسط ماشا ذراعيها ايضاً ، وتسرع مع بتروفنا بالبحث عما نشله الغراب هذه المرة . كان الغراب في اكثر الاحيان يخطف سكراً ، وكعكاً ، وسجقاً .

كان هذا الغراب يعيش في كشك لبيع البوزة في الصيف ، وفي الشتاء يغلق . وكان شحيحاً مشاكساً . وكان يحشر كل ممتلكاته بمنقاره في شقوق الكشك ، حتى لا تنشل العصافير ما نشله هو .

٭ الخنصر : اصغر اصبع في اليد . **المترجم** .

وفي بعض الاحيان رأى الغراب في النوم ان العصافير تسللت الى الكشك ، وراحت تستخرج من الشقوق قطعاً من السجق المتجمد ، وقشرة تفاح ، وورقة فضية مما تغلف به قطع الملبّس . فصار ينعب في نومه غاضباً . وكان رجل ميليشيا واقفاً في منعطف مجاور يلتفت حوله ويرهف السمع . وكان منذ زمان يسمع في الليل نعيباً صادراً من الكشك ، ويندهش من ذلك . ولعدة مرات كان يقترب من الكشك ، ويحجب بكفيه وجهه من ضوء مصباح الشارع ، ويبص في الداخل . ولكن الكشك مظلم ، فلم يكن يلمح غير صندوق محطم ملقى على ارضه .

وذات مرة كبس الغراب في الكشك على عصفور صغير منفوش الريش يسمى «باشكا» .

اصبحت حياة العصافير صعبة ، والشوفان قليل ، لان المدينة خلت من الخيول او كادت . في الازمنة السالفة — وكان جد باشكا ، وهو عصفور عجوز يكنى «زقزوق» يحن اليها ويتذكرها احياناً — كانت العصافير تتزاحم الايام كلها قرب مواقف العربات ، حين كان الشوفان يتناثر من مخالي الخيول على الجادة .

أما الآن فليس في المدينة غير السيارات ، وهي لا تعلف شوفاناً ، ولا تقضمه قضماً ، كما تفعل الخيول الأنيسة ، بل تشرب ماء ساماً له رائحة قوية . وقلّت قبيلة العصافير . بعض العصافير نزحت الى الريف ، لتكون اقرب الى الخيول ، وهاجر البعض الآخر الى المدن الساحلية ، حيث تشحن الحبوب في البواخر . ولهذا السبب تعيش العصافير هناك في شبع ومرح .

كان زقزوق يقول : «من قبل كانت العصافير تجتمع اسراباً هائلة ، كل سرب يضم الفين او ثلاثة آلاف . وحين كانت تطير ، وتمرق في الهواء ، كانت خيول العربات وليس الناس وحدهم تجفل وتغمغم : «اللهم نجّنا وارأف بنا ! أما من كابح لهؤلاء الفالتين ؟»

وليتك رأيت عراكات العصافير في الاسواق ! كان الريش يتطاير منها كالسحب . والآن مثل هذه العراكات لا تغتفر . . .»

كبس الغراب على باشكا ، حالما دخل هذا الى الكشك ، وقبل ان يتسنى له الوقت لينبش شيئاً من شق . ونقره على رأسه . فوقع باشكا واغلق عينيه متظاهراً بالموت .

قذفه الغراب من الكشك ، ونعب في النهاية شاتماً جميع عشيرة العصافير اللصوص .

التفت رجل الميليشيا ، واقبل على الكشك . كان باشكا راقداً على الثلج بين سكرات الموت من وجع الرأس ، لا تبدر منه حركة إلا حين كان يفتح منقاره قليلاً .

قال رجل الميليشيا :

ــ آه ، ايها المتشرد الصغير !

وخلع قفازه ، ودس باشكا فيه ، وخبأ القفاز وباشكا في جيب معطفه ، واضاف :

ــ حياتك تعيسة يا عصفور !

رقد باشكا في جيب الرجل ، ورمش بعينيه ، وبكى متكدراً جائعاً . فلو لقط ، على الاقل ، فُتات الخبز مهما ضؤل ! ولكن جيب رجل الميليشيا كان خالياً من فتات الخبز ، وليس فيه غير ذرات من التبغ لا نفع فيها .

في الصباح خرجت بتروفنا وماشا للنزهة في المنتزه . دعا رجل الميليشيا ماشا اليه ، وسألها بجدية :

ــ ايتها المواطنة ، الا تحتاجين الى عصفور ؟ لتربيته ؟

اجابت ماشا أنها بحاجة الى عصفور ، بل وبحاجة شديدة . عندئذ ظهرت فجأة تجاعيد صغيرة على وجه رجل الميليشيا الاحمر الملوَّح . ضحك ، واخرج القفاز الذي فيه باشكا :

ــ خذيه ! مع القفاز . والا فسيفلت . اجلبي القفاز اليَّ فيما بعد . لن اترك مكان حراستي قبل الساعة الثانية عشرة .

اخذت ماشا العصفور باشكا الى البيت ، ومشطت ريشه بالفرشاة ، واطعمته واطلقته . جلس باشكا على صحن شاي ، وشرب الشاي منه ، ثم طار وحط على رأس الحداد الذي هو في الساعة ، بل وراح النعاس يداعب عينيه ، الا أن الحداد زعل في آخر الأمر ، ورفع مطرقته ، وهمَّ بضرب باشكا . فاضطرب باشكا وطار وحط على رأس كاتب الحكايات كريلوف . وكان كريلوف تمثالاً من البرونز زلقاً ، فما كاد باشكا يثبِّت رجليه عليه . اما الحداد ، فبعد ان زعل ، أخذ يطرق على السندان ، حتى طرق احدى عشرة طرقة .

عاش باشكا في حجرة ماشا نهاراً وليلة ، ورأى في المساء الغراب العجوز



يدخل من فتحة التهوية ، ويسرق من المائدة رأس سمكة مطبوخة . اختبأ باشكا وراء سلة الزهور الحمراء ، ولزم الهدوء هناك .

ومنذ ذلك الحين كان باشكا يطير الى ماشا كل يوم ، وينقر الفُتات ، ويفكر بم يرد الفضل الى ماشا . جلب لها ، ذات مرة ، جُندباً متجمداً وجده على شجرة في المنتزه ، فأخذه باشكا من هناك . الا ان ماشا لم تأكل الجندب ، بل إن بتروفنا القته من النافذة ، وهي تشتم .

وعند ذاك ، ونكاية بالغراب العجوز ، أخذ باشكا يبرع في استلال الاشياء المسروقة من الكشك ، واعادتها الى ماشا . فيجلب مرة قطعة حلوة يابسة ، ومرة قطعة فطيرة صلبة كالحجارة ، ومرة ورقة ملبس حمراء .

ولربما كان الغراب لا يسرق من ماشا وحدها ، بل ومن بيوت أخرى ، لأن باشكا كان يخطىء احياناً ، ويجلب اشياء تخص الآخرين : مشطاً ، ورقة لعب — ملكة سباتي — وريشة ذهبية من قلم حبر .

كان باشكا يطير الى الحجرة حاملاً هذه الاشياء ، ويلقيها على الأرض ، ويقوم في الحجرة بعدة دورات ، ثم يختفي وراء النافذة مارقاً مثل قذيفة صغيرة من الريش .

في ذلك المساء ظلت بتروفنا نائمة أكثر من المعتاد .

وكانت ماشا تود لو ترى كيف يدخل الغراب من فتحة التهوية . فانها لم تر ذلك قط .

صعدت ماشا على كرسي ، وفتحت الفتحة ، واختبأت وراء الدولاب . في البداية تطايرت من الفتحة نتف كبيرة من الثلج ، وذابت على الارض . وبعد ذلك صدر صرير مفاجئ . وانسل الغراب الى الحجرة ، ونط على منضدة ماما ، ونظر في المرآة قليلاً ، ونفش ريشه ، حين رأى في المرآة غراباً خبيثاً على صورته ، ثم نعب ، واختطف الباقة الزجاجية لصوصياً ، وطار من الحجرة .

صرخت ماشا ، واستيقظت بتروفنا ، وتأوهت ، وراحت تشتم . وحين عادت ماما من المسرح ، بكت وقتاً طويلاً الى حد أن ماشا شرعت تبكي معها . بينما كانت بتروفنا تقول لا حاجة الى زهق النفس بالعويل ، فلبربما نعثر على الباقة الزجاجية ، الا اذا كان الغراب الاحمق اوقعها في الثلج .

في الصباح جاء باشكا طائراً . وحط ليستريح على تمثال كاتب الحكايات



كريلوف ، وسمع حكاية الباقة المسروقة ، فنفش ريشه ، واستغرق يفكر .

وحين خرجت ماما الى المسرح للتمرين ، لاحقها باشكا . كان يطير من لوحات الاعلان إلى أعمدة المصابيح ، ومن اعمدة المصابيح الى الاشجار حتى وصل الى المسرح . وجلس هناك قليلاً على بوز حصان من حديد ، ونظف منقاره ، ومسح ببرثن دموعه ، وزقزق ، وانصرف .

في المساء البست ماما ابنتها ماشا مئزراً أبيض لأيام الأعياد ، وطرحت بتروفنا على كتفيها شالاً بنياً من الاطلس ، وخرجوا جميعاً الى المسرح . وفي تلك الساعة بالذات جمع باشكا جميع عصافير المنطقة بناء على أمر من «زقزوق» ، وهجمت العصافير بكل سربهم على كشك الغراب ، حيث خبئت الباقة الزجاجية .

بالطبع لم تعزم العصافير رأساً في مهاجمة الكشك ، بل انتشرت على السطوح المجاورة للكشك ، وراحت تتحارش بالغراب قرابة ساعتين . فقد كانت تتصور أنه سيغتاظ ، ويغادر الكشك . عندئذ سيكون من الممكن تنظيم معركة في الشارع ، حيث المكان ارحب من الكشك ، وحيث في الامكان ان تهاجم العصافير الغراب سوية ودفعة واحدة .

ولكن الغراب كان محترساً ، ويعرف مكائد العصافير ، فلم يغادر الكشك .

وعند ذاك شدت العصافير من حَيْلها في آخر الأمر ، وبدأت تنفذ الى الكشك واحداً اثر الآخر . وارتفع في داخله من الوصيص والضجيج واصطفاق الاجنحة ما جعل الناس على الفور يتحلقون حول الكشك في جمهور غفير .

وجاء رجل الميليشيا راكضاً . وبص في الكشك ، وتراجع . كان ريش العصافير يتطاير في ارجاء الكشك كله ، ولا يمكن من خلال هذا الريش ان يتبيَّن الانسان شيئاً .

قال رجل الميليشيا :

— رائع ! هذه معركة في الأيدي اصيلة !

واخذ رجل الميليشيا يخلع الالواح المسمَّرة على باب الكشك ليفتح الباب ، ويوقف العراك .

في ذلك الوقت ارتعشت جميع اوتار الكمانات والفيوليتات في اوركسترا المسرح ارتعاشاً خفيفاً . ورفع رجل طويل يده الشاحبة ، ونشرها ببطء ، فاهتزت ستارة من المخمل الثقيل وسط انغام الموسيقى المشتدة ، وانزاحت الستارة بخفة على

الجانبين . ورأت ماشا غرفة واسعة انيقة مترعة بالشمس الشقراء ، والاختين الغنيتين القبيحتين ، وزوجة الأب الحقودة ، وماما نحيلة جميلة في ثوب رمادي قديم .

— سندريللا ! — هتفت ماشا بخفوت ، ولم تعد تصرف نظرها عن المسرح .

وظهر قصر على المسرح ، في ألق من الضوء الازرق والوردي والذهبي والقمري .
وفقدت ماما ، وهي تخرج منه راكضة ، نعلها البلوري على السلم .

وكان لطيفاً أن الموسيقى كانت دائماً تصاحب ماما حزينة عليها مرة وفرحة بها مرة أخرى ، وكأن كل تلك الكمانات والمزامير والنايات والابواق كانت مخلوقات حية طيبة تحاول ان تساعد ماما بكل وسيلة بصحبة قائد الاوركسترا الطويل الذي كان بنفسه منهمكاً بمساعدتها الى حد أنه لم يلتفت ولو مرة الى قاعة المشاهدين .

وهذا مؤسف كثيراً لان في القاعة اطفالاً كثيرين ، خدودهم متوهجة من شدة الفرح .

وحتى اولئك المستخدمون الشيوخ الذين يقفون عادة في ممرات المسرح يبيعون البرامج للمشاهدين ، ويؤجرون لهم المناظير المكبرة السوداء ، ولا يشاهدون العرض ابداً ، حتى هؤلاء العجائز دخلوا القاعة دون ان يحدثوا صوتاً ، واغلقوا الابواب وراءهم ، وراحوا يشاهدون ماما ، وهي ترقص . بل ان احدهم مسح عينيه الدامعتين . ولماذا لا تدمعان ، اذا كانت ابنة زميله المتوفي ، الذي كان يزاول نفس عمله ، ترقص هذا الرقص الجميل .

وانتهى العرض ، وراحت الموسيقى تغني للسعادة بقوة ومرح حتى أن الناس ابتسموا بينهم وبين انفسهم ، سوى انهم كانوا حائرين لماذا تترقرق الدموع في عيني سندريللا السعيدة ، وفي هذه اللحظة بالذات اندفع الى قاعة المشاهدين ذلك العصفور الصغير المنفوش الريش . وجد هذه القاعة بعد ان اضل طريقه فى ادراج المسرح وممراته . وكان واضحاً من النظرة الاولى انه خارج من عراك ضار .

حام فوق خشبة المسرح وقد اعشت عينيه مئات الانوار ، ولاحظ الجميع أن شيئاً شبيهاً بغصن بلوري صغير يلمع بشدة في منقاره .

حدثت ضجة في القاعة ثم هدأت . رفع قائد الاوركسترا ذراعه ، واوقف الموسيقى . بدأ المشاهدون في الصفوف الخلفية يقفون ليروا ماذا يحصل على خشبة المسرح . طار العصفور نحو سندريللا ، فمدت اليه ذراعيها ، فالقى العصفور في كفها باقة بلورية صغيرة دون أن يتوقف عن الطيران . دبست سندريللا الباقة على



ثوبها باصابع مرتعشة . واشار قائد الاوركسترا بعصاه فهدرت الموسيقى . واخذت اضواء المسرح تهتز من التصفيق . رفرف العصفور تحت قبة القاعة ، وحط على ثريا ، وأخذ ينظف ريشه المنفوش من اثر العراك .

انحنت سندريللا ، وضحكت ، اما ماشا فما كان ليخطر في بالها ابداً أنها ماما ، لو لم تكن تعرف ذلك من قبل .

في تلك الليلة ، عندما أُطفأت الانوار في بيت ماشا ، ودخل الليل العميق الى الحجرة ، وأمر الجميع بان يناموا ، سألت ماشا أمها من خلال النعاس :

— طيب ، عندما دبَّست الباقة ، هل تذكرت بابا ؟

صمتت ماما قليلاً ثم قالت :

— نعم .

— ولماذا تبكين ؟

— لأنني فرحة بأن في العالم اناساً مثل ابيك .

غمغمت ماشا :

— هذا غير صحيح ! الناس يضحكون في الافراح .

اجابت ماما :

— يضحكون في الافراح الصغيرة . أما في الكبيرة فيبكون . والآن نامي !

وغفت ماشا ، كما غفت بتروفنا . وتقدمت ماما من النافذة . كان باشـكـا ينام على غصن وراء النافذة .

كانت الدنيا تغرق في سكون ، ونتف الثلج الكبيرة ما زالت تتساقط من السماء وتتساقط ، وتعمّق ذلك السكون . وفكرت ماما : مثلما يتساقط الثلج تتساقط الاحلام والحكايات السعيدة على الناس .

١٩٤٨





ارکادی غایدار

الصخرة الحامية

١

كان يا ما كان ، كان عجوز وحيد يعيش في قرية . كان واهن الجسم يحوك السلال ، ويصنع الاحذية اللبادية ، ويحرس بستان الكولخوز من الاولاد وبذلك يكسب رزق يومه .

قدم الى القرية منذ زمان بعيد ، ومن مكان بعيد ، ولكن الناس فهموا في الحال أن هذا الرجل قاسى الكثير من المحن . كان اعرج ، شائباً قبل اوان الشيب ، شُرِم خده شرمة عوجاء نفذت الى شفتيه . ولهذا كان وجهه يبدو مغموماً قاسياً ، حتى وإن إبتسم .

٢

ذات مرة تسلل الولد ايفاشكا كودرياشكين الى بستان الكولخوز ليقطع التفاح ، ويأكل لوحده حتى الشبع . ولكن بنطاله تعلق في مسامير السياج ، فسقط على



الاشواك ، وتخدَّش ، وصاح ألماً ، ووقع في يد الحارس .

وكان في وسع الحارس العجوز ، بالطبع ، ان يضرب ايفاشكا بعود القرّاص ، والاسوأ من ذلك ، ان يأخذه الى المدرسة ، ويقص على المدير ما فعل ايفاشكا .

ولكن العجوز اشفق على ايفاشكا . فقد كانت ذراعا ايفاشكا مخدشتين ، وبنطاله ممزقاً تتدلى مزقة منه وراءه كالذيل ، وكانت الدموع تتساقط على خديه المحمرين .

قاد العجوز ايفاشكا المذعور الى باب البستان ، واطلق سراحه الى حيث يشاء ، دون أن يضربه ، وحتى دون أن يقول له كلمة واحدة .

٣

ومن خجل ايفاشكا وبلواه دخل الغابة ، واضل طريقه ، ووجد نفسه في مستنقع . واخيراً تعب . فانهد على صخرة زرقاء كانت تبرز من بين الأشنة . لكنه هبَّ في الحال زاعقاً ، فقد تصوَّر انه جلس على نحلة غابة ، فلسعته من خلال شق البنطال لسعة مؤلمة .

ولكن أية نحلة لم تكن على الصخرة . بل كانت الصخرة نفسها حامية كالجمرة ، وقد ظهرت على سطحها المسطح كلمات غطاها الطين .

خطر في ذهن ايفاشكا حالاً : من الواضح ان الصخرة سحرية .

خلع حذاءه ، واسرع يزيل الطين بعقبه عن الكتابة .

فقرأ ما يلي :

مَنْ يرفع هذه الصخرة الى الجبل ،
ويقطعها هناك قطعاً ،
فسيعاد اليه شبابه
ويبدأ الحياة من جديد

وتحت ذلك ختم ليس مدوراً بسيطاً ، مثل ختم ادارة القرية ، ولا مثلثاً مثل الختم الموجود على بطاقات التعاونية ، بل اكثر شيطنة : صليبان ، وثلاثة ذيول ، ودائرة مع عود ، واربع فوارز .

واغتم ايفاشكا كودرياشكين . فهو في الثامنة او اكثر بقليل . ولم يحب قط ان يبدأ الحياة من جديد ، اي ان يظل في الصف الأول سنة اخرى .

ولكن لو أن هذه الصخرة وفَّرت له الانتقال من الصف الأول الى الصف الثالث دفعة واحدة ، ودون قراءة الدروس فهذا شيء آخر .

ولكن الجميع يعرفون منذ زمان أن مثل هذه القدرة الجبارة لا تمتلكها حتى اكثر الصخور سحراً .

٤

مرَّ ايفاشكا بالبستان حزيناً ، فرأى العجوز ثانية يحمل دلواً فيه كلس وهو يسعل ، ويتوقف كثيراً ليلتقط انفاسه ، ووضع على كتفه عصا تنتهي بفرشاة من الليف .

كان ايفاشكا ولداً طيباً في طبيعته ، ففكر مع نفسه : «ها هو الرجل الذي كان في وسعه ببساطة ان يسوطني بعود القرَّاص . ولكنه اشفق عليَّ . فلو اشفق الآن عليه ، واعيد له شبابه ، فلا يسعل ، ولا يعرج ، ولا تتقطع انفاسه» .

وبهذه الافكار الطيبة تقدم ايفاشكا الشهم من العجوز ، وشرح له حقيقة الأمر بصراحة . شكر العجوز الولد ايفاشكا متجهم الوجه ، ولكنه رفض ترك حراسته ، والذهاب الى المستنقع ، لأن في الدنيا يوجد اناس يمكن أن يصفوا بستان الكولخوز من التفاح خلال ذلك دون ان يؤنبهم ضميرهم .

وطلب العجوز من ايفاشكا ان يرفع الصخرة بنفسه من المستنقع الى الجبل . وبعد ذلك سيذهب هو الى الجبل لمدة قصيرة ويكسِّر الصخرة بشيء ما بسرعة . وحزن ايفاشكا كثيراً لتطور الامر بهذا الشكل .

ولكنه لم يرد ان يغضب العجوز بسبب رفضه . وفي صباح اليوم التالي ، أخذ ايفاشكا زكيبة سميكة ، وقفازين من الخيش اتقاء ليديه من الصخرة ، وسار نحو المستنقع .

٥

اخرج ايفاشكا الصخرة من المستنقع بصعوبة ، وقد تلطخ بالوحل والطين واخرج لسانه واستلقى على العشب الجاف عند سفح الجبل . وفكر مع نفسه :

«اها ! والآن سأدفع الصخرة الى الجبل ، وبعدها يأتي العجوز الاعرج ويقطعها ، ويعود الى شبابه ، ويبدأ حياته من جديد . الناس تقول : عانى الكثير من المحن ، وهو عجوز ، وحيد ، منهوك ، مجرّح ، ولم ير قط سعادة في حياته ، بالطبع . بينما الآخرون رأوها» . ورغم أن ايفاشكا صغير ، الا أنه رأى مثل هذه الحياة ثلاث مرات . مرة حين اركبه سائق غريب عليه تماماً في سيارة صغيرة لامعة من اسطبل الكولخوز الى باب المدرسة بعد أن تأخر عن الدروس . وثانياً حين اصطاد في الربيع سمكة كبيرة في الساقية بيديه الخاليتين . واخيراً ، حين أخذه العم ميتروفان معه الى المدينة في عيد اول أيار البهيج .

واستقر رأي ايفاشكا بأريحية على : «اذن ، دع العجوز البائس ايضاً يرى حياة طيبة» .

ونهض ، ودفع الصخرة الى الجبل بصبر .

٦

وقبيل الغروب كان ايفاشكا يجفف ملابسه الموحلة المبللة قرب الصخرة الحامية ، وهو ينكمش منهوكاً مرتعشاً . وعلى تلك الحال وجده العجوز حين صعد الجبل اليه . هتف ايفاشكا مندهشاً :

ـــ ولماذا ، يا جد ، لم تجلب مطرقة أو فأساً او عتلة ؟ أم انت تأمل بأن تحطم الصخرة بيديك ؟

اجاب العجوز :

ـــ لا ، يا ايفاشكا . أنا لا آمل بأن احطم الصخرة بيدي . لن احطم الصخرة مطلقاً . لانني لا اريد ان ابدأ الحياة من جديد .

وبعد ذلك تقدم العجوز من ايفاشكا الذاهل ، ومسّد على رأسه ، وشعر ايفاشكا بأن يد العجوز الثقيلة ترتجف . وقال العجوز لايفاشكا :



— بالطبع كنت تظن انني عجوز اعرج مشوه بائس . بينما في الحقيقة أنا أسعد انسان في العالم .

كسرت قدمي ضربة من قرمة ، ولكن ذلك كان ونحن ما زلنا بدون مهارة ، نطيح بالاسيجة ، ونقيم المتاريس ، وننظم الانتفاضة ضد القيصر الذي لم تراه إلا في الصورة .

وشرمت شفتاي ، ولكن ذلك كان حين كنا نغني الاناشيد الثورية جماعياً ، ونحن في غياهب السجن . اصابني سيف في معركة فقطع وجهي ، ولكن ذلك كان حين دحرت الافواج الشعبية الأولى جيش العدو الأبيض وسحقته .

كنت انقلب في هذيان حمى التيفوئيد على القش في الثكنة الباردة الواطئة . كانوا يقولون ان بلادنا في حصار ، وأن قوى الاعداء تقهرنا ، فكان هذا عندي افظع من الموت . ولكنني افقت على نفسي مع اول شعاع من الشمس المشرقة من جديد ، فعرفت أن العدو قد دُحِر مرة اخرى ، وأننا عدنا الى الهجوم .

كنا سعداء ، نمد ايدينا الهزيلة بعضنا لبعض من اسرتنا ولكنا نحلم آنذاك متوجسين بان بلادنا ستكون كما هي الآن ، جبارة وعظيمة ، وان حدث ذلك بعدنا . أليست هذه سعادة ، يا صغيري ؟ وما حاجتي الى عمر آخر ؟ وشباب آخر ؟ كانت حياتي صعبة ، ولكنها شريفة واضحة .

وصمت العجوز قليلاً ، واخرج غليونه واشعله . عندئذ قال ايفاشكا خفيض الصوت :

— نعم ، يا جد ! ولكن ما دام كذلك ، فلماذا جاهدت ورفعت هذه الصخرة الى الجبل ، بينما كانت سترقد في مستنقعها ساكنة تماماً ؟

قال العجوز :

— لتكن على مرأى ، وانظر ، يا ايفاشكا ، ماذا سيكون من شأنها .

٧

ومنذ ذلك الحين انقضت اعوام كثيرة ، ولكن الصخرة ظلت في مكانها سليمة لم تقطَّع .

اقترب منها الكثيرون . يأتون ، وينظرون ، ويفكرون ، ويهزون رؤوسهم ، ويعودون

من حيث جاءوا . وذات مرة كنت ايضاً على ذلك الجبل . كنت غير مرتاح الضمير ، متعكر المزاج . . وفكرت مع نفسي :

«طيب ، لاقطع الصخرة ، وابدأ الحياة من جديد !»

ولكنني وقفت ازاءها ووقفت ، ثم غيّرت فكري لحسن الحظ ، قائلاً لنفسي :

«آي ! سيراني جيراني قد عدت الى الشباب ، وسيقولون : هذا شاب معتوه ! الظاهر انه لم يستطع ان يعيش حياة واحدة كما ينبغي ، ولم يتمعن في سعادته ، والآن يريد ان يبدأ من جديد» .

عندئذ لففت لنفسي سيكارة ، واشعلتها من الصخرة الحامية ، حتى اوفّر عود ثقاب . وسرت عائداً في حال سبيلي .

١٩٤١



محتويات

الى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته ، وشكل عرضه وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧
موسكو — الاتحاد السوفييتي



Сказки советских писателей

На арабском языке



Сказки советских писателей. Для среднего школьного возраста.
Перевод сделан по книгам: Десять сказок.–"Дет. лит.", 1968 г.
В. Каверин „Избранное".–"Худ. лит.", 1978; Черная курица.–
„Московский рабочий", 1981

